تراث
الجمهورية
الكتاب الحادى و الخمسون

"قمم مصرية"

حفلة ختان فى باريس

من حواديت
بيرم التونسى





- ريفية فى باريس
- قدور بن غبريت
- النصب فى باريس
- .. أصله فى باريس كناس

صلاح عطية

تراث الجمهورية
سلسلة تأسست فى يناير ٢٠٠٦

مارس ٢٠١٠
الكتاب الحادي والخمسون

« قمم مصرية »

من حواديت
« بيرم التونسى »

حفلة ختان في باريس

- ريفية في باريس
- قدور بن غبريت
- النصب في باريس
- ..أصله في باريس كناس

صلاح عطية

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٧٩٠٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 236 - 723 -8
طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة

تراث الجمهورية
سلسلة تأسست فى يناير ٢٠٠٦

يصدر عن
مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر
« دار الجمهورية للصحافة »

رئيس مجلس الإدارة
على هاشم

الإعداد والإشراف العام
صلاح عطية

تصميم الغلاف : الفنان مصطفى كامل
تنفيذ الكتاب : ميرفت محمد حسن

١١١ - ١١٥ شارع رمسيس - القاهرة تليفون ٢٥٧٨١٠١٠ - ٢٥٧٨٣٣٣٣
فاكس ٢٥٧٨١٧١٧ - ٢٥٧٨١٥٥٥ www. eltahrir.net

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذا الكتاب من سلسلة «تراث الجمهورية» نتناول حياة وتراث واحد من عمالقة هذا الوطن الذين أثروا حياة مصر وأمتها العربية بأعمالهم التى خلدتهم وأبقت سيرتهم حية متجددة، ونموذجاً لأجيال كان عطاؤها ومازال ينير الطريق لكل الأجيال التى تلتها، وستظل كذلك، نبعا يفيض ولا يتوقف فيضه، ويتجدد عطاؤه كلما تجددت الأجيال، وارتوت بأعمال هؤلاء العمالقة على مر الزمان.

•••

وقد كنت أحد الذين شرفوا بمعاصرة الكثيرين من القمم المصرية.. والالتقاء بهم.. والكتابة عنهم.. وعلى رأس هؤلاء كل من : د.طه حسين ـ توفيق الحكيم ـ عباس محمود العقاد ـ عزيز أباظه ـ نجيب محفوظ ـ على أحمد باكثير ـ بيرم التونسى ـ د.عبدالحميد يونس ـ د. سهير القلماوى ـ د. عائشة عبد الرحمن – د. أمين الخولى – يحيى حقى – د. رشاد رشدى – د.محمد مندور ـ د.لويس عوض ـ أحمد رامى ـ كامل الشناوى ـ يوسف السباعى ـ محمد التهامى ـ د.أحمد بدوى ـ زكى المهندس ـ نعمان عاشور ـ سعد الدين وهبة ـ يوسف إدريس ـ عبدالمنعم الصاوى ـ عبدالرحمن صدقى ـ د.على الراعى ـ جاذبية صدقى ـ صلاح عبدالصبور ـ عبدالرحمن الشرقاوى ـ محمود حسن

اسماعيل - بديع خيرى - د.أحمد هيكل - أحمد حسن الباقورى - أحمد رشدى صالح - أحمد عباس صالح - ألفريد فرج - صلاح جاهين - ثروت أباظة - أم كلثوم - محمد عبدالوهاب - عبدالحليم حافظ - فريد الأطرش - صالح عبدالحى - زكريا أحمد - رياض السنباطى - محمد القصبجى - أحمد صدقى - يوسف وهبى - السيد بدير - فاتن حمامة - أمينة رزق - صلاح أبوسيف - محمد كريم - أحمد بدرخان... ولا تنتهى قائمة القمم المصرية- التى أوردت بعض أسمائها بغير ترتيب- والذين يزينون تاريخ هذا الوطن وتراثه فى الأدب والفكر والفن والثقافة.

●●●

وقد أسعدنى الحظ أيضا بأن أخصص السنوات الأخيرة الماضية للغوص فى تراث «الجمهورية» منذ صدر عددها الأول فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣.. وأن أتابع على صفحاتها ما حفلت به من أخبار هذه القمم وأعمالها.. ثم أن أنتقى منها ما أعيد تقديمه للقارىء العزيز الذى لم يعاصر تلك الفترة، أو عاصرها ويجد فيما نقدمه انعاشا للذاكرة وإحياء لفترة من حياته.. ويسعده أن يسترجع أحداثها.. وأشخاصها.

●●●

وقد رأيت مع شهر مارس أن أنتقى من هذا الفيض الكبير من القمم المصرية، قمة يرتبط مولدها بهذا الشهر.. ويرتبط تراثها «بالجمهورية».. وأن يكون أيضا ممن



بيرم التونسي

عاصرتهم والتقيت بهم وكتبت عنهم.. فكان الاختيار لشاعر الشعب.. وفنان الشعب.. بيرم التونسى.. الذى اعتبر أمير الشعراء أحمد شوقى، شعره باللهجة العامية المصرية خطرا على العربية الفصحى فقال «أخاف على الفصحى من شوقى».. تعبيرا عن إعجابه بعبقرية بيرم.. الذى تربى وتخرج فى مدرسته ـ ولازال يتخرج فيها ـ أجيال وأجيال.

●●●

وقد كان بيرم التونسى أحد كتاب جيل العمالقة فى «الجمهورية» منذ الخمسينيات وحتى وفاته فى عام ١٩٦١.

وقد امتلأت صفحات الجمهورية بأزجاله.. ثم ازدانت بيومياته الأسبوعية على صفحتها الأخيرة.. وأضاف إليها أيضا «حواديته».. ومعها «مقاماته».

ولاتتسع صفحات هذا الكتاب لعشرات المئات من الأزجال التى نشرها بيرم على صفحات الجمهورية.. وربما عدنا فى قادم السنوات ـ إن كان فى العمر بقية ـ إلى تقديم جانب منها بعد تصنيفه وتبويبه.. ولكننا آثرنا أن نبدأ هذا الكتاب الأول فى هذه السلسلة، عن بيرم التونسى بلمحة عن تاريخه.. ثم نتبعها بواحدة من يومياته.. ثم نشرع في تقديم «حواديته» التى لاتتسع لها صفحات كتاب واحد.. ونأمل أن نتابعها فى أكثر من كتاب، ونتابع مع كل كتاب جانبا آخر من حياة بيرم التونسى.

●●●

وقد أتيح أن أرى بيرم التونسى.. ولكني لم أره فى مبنى «الجمهورية».

ففى أواخر الخمسينات كنت فى مطلع حياتى الصحفية، صحفيا «تحت التمرين» أغطى أخبار الإذاعة بين اختصاصات عدة أسندت إلى فى هذه السن المبكرة.. وبحكم هذه التغطية وترددى على مبنى الإذاعة الشهير فى شارع الشريفين.. أتيح لى أن أرى الكثير من الفنانين والأدباء والمشاهير فى ذلك الزمان ممن كانت رؤيتهم فى ذلك الوقت حلما للكثيرين. وكان من بين من التقيت بهم فى هذه الفترة وتابعت كذلك أخبارهم، شاعرنا الشعبى الكبير بيرم التونسى.



الرئيس أنور السادات عندما كان مديراً عاماً للجمهورية يصافح بيرم التونسى

كنت ألقاه أحيانا فى مبنى الإذاعة نفسها إما مترددا على بعض مكاتبها، ومن بينها مكتب الفنان الراحل محمد حسن الشجاعى، أو الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل أو الإذاعى الراحل محمد محمود شعبان (بابا شارو).. وكنت إلى جانب هذا ألقاه أحيانا فى انصرافى من الإذاعة فى شارع الشريفين متوجها إلى ميدان باب اللوق، جالسا على مقهى اللواء مع كوكبة أخرى من الأدباء والفنانين والإذاعيين، مازلت أذكر منهم الراحل العزيز عثمان أباظة.

●●●

هكذا تجمعت فى ذاكرتى صور هذا الشاعر العظيم الذى كان قد انضم إلى «الجمهورية» واحدا من كتابها وشعرائها فى مطلع الخمسينات، ولم أكن بعد قد بدأت حياتى الصحفية، ولم أكن كذلك قد انضممت إلى «الجمهورية» التى جئت إليها بعد ذلك فى نهاية عام ١٩٥٨ نقلا من «جريدة الشعب» مع إخوة أعزاء أطال الله فى حياتهم ، هم الزملاء الأعزاء عبداللطيف فايد ومحفوظ الأنصارى وناهد المنشاوى.. وكنا جميعاً أبناء جيل واحد : «صحفيون تحت التمرين».. وكان معنا أيضا إخوة أعزاء انتقلوا إلى رحاب الله فى سنوات مختلفة بينهم أحمد نوار، ومنصور نسيم، وعبدالوهاب دنيا.

ومن الغريب أنى عندما انضممت إلى «الجمهورية» فى أواخر الخمسينات لم أكن أرى بيرم التونسى أبدا فى مبناها على كثرة من كنت أراهم من الأدباء والمفكرين

والكتاب ممن عملوا فيها، أو كانوا يكتبون فيها أو حتى يزورونها.. وكانت كل لقاءاتى مع بيرم التونسى محصورة فى مبنى الإذاعة والطريق منها أو إليها، ومقهى اللواء.. القريب من الإذاعة، والتى كانت فيما يبدو محطة فى طريقة من وإلى الإذاعة بخلاف مقهاه المفضل فى شارع السد البرانى فى حى السيدة زينب.

وقد وعت ذاكرتى صور بيرم التونسى، وهو يمشى بتؤدة بقامته القصيرة أو المتوسطة وممسكا بيديه أوراقه.. وكصحفى فى أول درجات السلم الصحفى - وأيضا تحت التمرين - لم تكن علاقتنا تتعدى معرفة بعض الأخبار التى



بيرم التونسى مع الفنانة إحسان القلعاوى يراجعان حلقات الظاهر بيبيرس فى الأذاعة

كنت أعتقد أنها تصلح للنشر، ومتابعة بعض الأعمال التى يقدمها هو، أو غيره من الكتاب والفنانين للإذاعة.

●●●

هكذا.. مع الكتاب الحادى والخمسين (مارس ٢٠١٠)، والذى نبدأ به سلسلة فرعية مع «قمم مصرية »، إخترنا أن نبدأ مع بيرم التونسى الذى ولد فى مطلع هذا الشهر فى مدينة الإسكندرية، فى يوم ٣ مارس ١٨٩٣ بعد ١١ عاماً من «ضرب الإسكندرية» بالأسطول البريطانى فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وبداية الاحتلال الإنجليزى لمصر.. لينشأ بيرم فى ظل هذا الاحتلال الذى عانى منه بعد ذلك نفيا وتشريدا.. وتكون قد مرت بذلك على مولده ١١٧ عاماً.. كما أنه قد مرت على وفاته فى ٥ يناير ١٩٦١ أكثر من ٤٩ عاما.. ويكون بيرم قد عاش نحو ٦٨ عاماً.

●●●

بداية.. نثير تساؤلا.. يتحدث به الكثيرون :

هل كان بيرم التونسى تونسيا أم مصريا؟..

الإجابة على هذا السؤال : هو بالقطع كان مصريا من أظافر قدميه إلى شعر رأسه.. كان مصريا «حتى النخاع».. الجذور كانت تونسية.. بهجرة جده إلى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر.. وبالتحديد فى عام ١٨٣٣.. أيام محمد على باشا.. ولكن بيرم التونسى كان مصرى المولد.. مصرى الأم.. بل مصرى الأب أيضا.. فأبوه مصرى بمولده

على أرض مصر.. ثم بزواجه من مصرية أنجب منها بيرم.. أو محمود بيرم التونسى.

ماهى حكاية التونسى إذن؟.. هى قصة ما عرف فى أيام الاحتلال «بالحماية».. كانت الحماية تفرض على ذوى الجنسيات الأجنبية.. فلا تستطيع السلطات أن تفعل لهم شيئاً لأنهم «حماية».. وقد صارت كلمة «حماية» هذه، هى إحدى الكلمات الدارجة فى التراث الشعبى.. عندما يصطدم إثنان أو أكثر فيسأل أحدهما الآخر مستنكرا فعله : «أنت حماية يعنى؟!».. أى هل تفعل هذا لأنك «حماية»



بيرم التونسى فى مبنى الإذاعة مستريحاً فى الفترة بين التسجيلات

لايستطيع أحد أن يقترب منك!!

وهكذا فعلها بيرم التونسى عندما حوصر من الاستعمار والسلطة.. فاضطر أن يقول أنه «حماية».. أنه فرنسى.. وهى الجنسية التى كان الاستعمار الفرنسى يمنحها لكل أبناء الشمال الأفريقى من تونس حتى المغرب مرورا بالجزائر.

ولكن كل هذا لم يشفع له فيما بعد.. كما سنرى.. فما دام فرنسيا.. أو تونسيا.. فليذهب إلى فرنسا.. أو إلى تونس.. ومن ثم كان النفى والتشريد خارج مصر الذى استغرق من عمر بيرم التونسى نحو العشرين من السنوات أى أقل قليلاً من ثلث عمره.

وقبل أن نتعرض للنفى ولأسبابه.. نقول أن بيرم التونسى بسبب جذوره التونسية.. وبسبب «الحماية» هذه التى لصقت به.. ظل بلا جنسية محددة.. حتى منحة الرئيس عبدالناصر الجنسية المصرية فى مطلع ثورة يوليو.. ثم كرمه ومنحة جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٠.. قبل وفاته فى مطلع يناير ١٩٦١.

●●●

وعن جنسية بيرم التونسى ننقل هنا روايتين الأولى لبيرم التونسى نفسه.. والثانية لابنه.

أما الرواية الأولى فقد جاءت فى سياق حديث نشرته جريدة «السياسة» الكويتية فى يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤.. وهو حديث مع بيرم التونسى نفسه.. ويبدو أنه حوار أعيد نشره

بعد أكثر من ثلاثين عاما من وفاة بيرم.. أو ربما كان حوارا اصطنعه الكاتب من معلومات استقاها من سيرته.

على أى حال : مانشرته «السياسة» الكويتية جاء تحت عناوين :

- حوار مع الشاعر بيرم التونسى المتوفى عام ١٩٦١ - أصدرت مجلة على غرار مجلة النديم - «الخازوق» أغلقت بعد العدد الأول والأخير.

يقول كاتب الحوار :

يا الله.. «بيرم التونسى» الشاعر لولا حبه لوطنه ما أهدر رأسه لفكى المقصلة، والذى أحب مصر حتى العظم.

يا الله.. «بيرم» يعود من المنفى متسللا بإحدى زوايا الباخرة المبحرة إلى مصر، تماما مثلما الفأر!؟

● عرفك الجمهور بـ بيرم «التونسى» هل أنت تونسى الجنسية؟

- أبدا.. فأنا مصرى «كامل الدسم» ولكن جدى لأبى كان تونسيا، ونزح إلى مصر منذ مائة وعشرين عاما، أى فى عام ١٨٣٣ فى عهد محمد على الكبير، قبل بناء هذا المسجد الذى شيده الوالى سعيد باشا بمناسبة زيارة السلطان العثمانى عبدالعزيز! ومنذ ذلك التاريخ استوطنت أسرتى فى مصر.

● ماذا كان يعمل والدك؟

- كان يمتلك مصنع نسيج، استولى عليه أبناء عمى بعد

وفاته! وأنا فى الثالثة عشرة عام ١٩٠٦.

● كنت رائدا من رواد الصحافة بإصدارك مجلتين.. مجلتى «المسلة» و«الخازوق» فكيف سلكت هذا الطريق؟

- فى مرحلة البحث عن الذات، وقعت فى يدى مجموعة مجلة «الأستاذ» التى كان يصدرها «عبدالله النديم» خطيب الثورة العرابية ورائد الزجل المصرى الأول، وما أن وقعت فى يدى هذه المجموعة، حتى التهمت كل ما كتبه فيها التهاما .!، وزادنى هذا حبا للدراسة والاطلاع، فحفظت ألفية «ابن مالك» فى النحو، وشرح ابن عقيل، واستظهرت عن ظهر قلب ديوان «المتنبى» وإن كنت لا أطيق أن افتح صفحة منه الآن!

● حدثنا عن المجلتين؟

- عندما قامت الثورة فى عام ١٩١٩ وجدت الفرصة متاحة أمامى لكى أقلد أستاذى عبدالله النديم، فسافرت إلى القاهرة لأستخراج تصريحا لى بإصدار مجلة على غرار مجلة «الأستاذ» ولكن مدير المطبوعات فى ذلك الوقت كان رجلا انجليزيا يدعى مستر «بويد» رفض منحى هذا التصريح، وقال لى! «أنه لاتوجد تصريحات لإصدار مجلات» فقمت على الفور باصدار «المسلة» بدون تاريخ ولا أرقام! ولا هى جريدة ولا مجلة!!

صدر العدد الأول منها فى تاريخ ٤ مايو ١٩١٩، وأغلقت بعد العدد الخامس عشر، وأصابنى من ورائها ما أصاب أستاذى «النديم»!!!

● ومجلة الخازوق؟

ـ هذه المجلة، أغلقت بعد العدد الأول منها والأخير!

لأنى نشرت زجلا لم «يستحسنه» فى ذلك الوقت محمود فخرى باشا زوج الأميرة «فايقة» ابنة الملك فؤاد من زوجته الأولى الأميرة «شويكار»!

● نفيت من مصر ثمانية عشر عاما.. هل كان السبب هو استقبالك مولد الملك «فاروق» بزجل ساخر؟

ـ أظن!

● كيف رجعت إلى مصر؟

ـ لقد انتهزت فرصة وجود باخرة عائدة إلى مصر فى عام ١٩٣٨ وتسللت اليها حيث جاءت بى إلى مدينة بورسعيد، وهناك هتف بى هاتف يقول :

غلبت أقطع تذاكر
وشبعت يارب غربه
بين الشطوط والبواخر
ومن بلادنا.. لأوربا
فى بورسعيد السفينة
رست تفرغ، وتملا
هتف بى هاتف، وقال لى :
انزل من غير عزومه
انزل دى ساعة تجلى

فـــيـــهـــا الشـــيـــاطين فى نـومـــه!
انـــزل دا ربـــك تمـــســـلـــى
فـــوقك، وفـــوق الحـكـومـــة»

●●●

أما الرواية الثانية عن جنسية بيرم التونسى فقد جاءت فى حوار جرى مع ابنه محمد، ونشر فى ٢١ فبراير ٢٠٠٠، وفيه قال الإبن عندما سئل عن «قضية جنسية بيرم التونسى» :

- «نحن مصريون، ولكن والدى عندما هاجم المنحرفين الموالين للإنجليز قبض عليه، ووجد أنه سوف يتعرض لمحاكمة قاسية، فقال إن جنسيته فرنسية، حتى ينجو من المحاكمة ولما زال الخطر طلب إعادته للجنسية المصرية».

وهى رواية ليست دقيقة تماما.

●●●

وقد تعرض بيرم للنفى والتشريد.. كما سنرى فيما بعد.. وكانت أشعاره وراء معاناته.. بداية من مقاومته الشرسة للاحتلال البريطانى إلى هجومه الشرس على فؤاد.. السلطان، ثم الملك بعد ذلك.

●●●

يقول بيرم التونسى عن الاحتلال البريطانى لمصر :

أحـــمـــدك يا من فـــتـــحت البـــاب علينا
بعـــــد أزمـــــان لما دبنا وانتـــــهـــينا
قـــــوم بقى نصلى على طه نبـــــينا
واتحــــفـــــه بالفل والوردة الذكــــيــــة
جـــالنا ضـــيف ســـاقع وبارد .. وابن جــزمــة
نام وتمرغ فى القـــمـــاش .. والدنيـــا أزمـــة
والضـــيـــافـــة بالكثـــيـــر مـــاتكونش لازمـــة ..
غـــيـــر ثلاث أيام .. ودى بالتلتـــمـــيـــة

●●●

وهاجم بيرم التونسى فؤاد.. فى زواج ابنته.. وأيضا فى زواجه هو من نازلى وفى مولد فاروق مبكرا عن موعده الطبيعى:

البنت مـــاشـــيـــه من زمـــان تتـــمـــخطر
والغـــفلة زارعـــة فى الديوان قـــرع أخـــضـــر
تشـوف حـــبـــيـــبـــهـــا فى الجـــاكـــيـــتـــه الكاكى
والســـتـــة خـــيل والقـــمـــشـــجى الملاكى
والعـــافـــيـــة هبله والجـــدع بيـــتـــشطر
والوزة من قـــبل الفـــرح مـــــدبوحـــة
والعطفـــة من قـــبل النظام مـــفـــتـــوحـــة

والديك بيدن .. والهانم مسطوحة
تقرا الحوادث فى جريدة كتر
ياراكب الفيتون وقلبك حامى
اسبق على القبة وطير قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وجيب لها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك
ينزل فى طوعك
لا الولد يتكبر
دا ياما مزع كل بدلة وبدلة
وياما شمع بالقطان والفتلة
ولما جه الأمر الكريم بالدخلة
قلنا اسكتوا خلو البنات تتستر

●●●

وكتب بيرم تحت عنوان :
«البامية السلطانى والقرع الملوكى» :
البامية فى البستان تهز القرون
وجنبها القرع الملوكى الخفيف
والديدبان داير يسلم الزبون

صـــهين وقــدم وامــــتـــثل ياخـــفـــيف
نـزل يلعلط تحت البـــرج القـــمـــر
ربك يبـــارك لك فى عـــمـــر الغـــلام
ياخـــســـارة بس الشـــهـــرة مش تمام

●●●

ويقول بيرم التونسى أيضا عن مولد فاروق :

اســـــمـع حـكـاية وبـعــــــدها هـأهـأ
زهـــر الملــوك فـــى الــولــد أهــو طـــأطـــأ
مـــــالـنـاش قـــــرون كـنـا نمـأمـــــأ
ونـاكـل البــــرســـيم بـالقـــــفـــــة
سلطان بلدنا حُـــرمـــتــه جـــابت
ولـد وقـــــال ســــمـــــوه فـــــاروق
فـــــــــاروق فـــــارقـنـا بـلا نـيـلـة
دى مـــصــــر مش عـــايزالهـــا رذيلة
دى عـــيـــشـــة بـالقـــوة وبـالتـــيـله
ومـين بـقـى يـلـحـس دى الـتــــفـــــة
يا دايه ليـــه مـــا انتش حـــداية
خـــدتيـــه ورحـــتى ع الجـــبـــلاية
جـــبـــتى لنا خـــبـــره وتنك جـــايه
ونـدق لـك فـى البـــيـــت الـزفـــــة
يــاعـــــــزرائـيـل اخـلـص بـقـى تـاوى

ناقص سوا وديه ع النار
وخد كمان جوليا قطاوى
ياما الزمن حيكشف أسرار

●●●

وعندما أنهت انجلترا الحماية على مصر بصدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ واعترفت بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.. رغم كل ما جاء به التصريح من تحفظات.. وقرر فؤاد أن يتحول من سلطان مصر إلى ملك مصر.. كتب بيرم التونسى :

ولما عدمنا بمصر الملوك
جابوك الانجليز يافؤاد وقعدوك
تمثل على العرش دور الملوك
وفين يلقوا نظيرك، ودون
وخلوك تخالط بنات البلاد
على شرط تقطع رقاب العباد
وتنسى زمان وقفتك يافؤاد
على البنك تشحت شوية زتون
بذلنا ولسه بنبذل نفوس
وقلنا عسى الله يزول الكابوس
ما نابنا إلا عرشك ياتيس التيوس
لا مصر استقلت ولا يحزنون

أشــــــوف برلمانك أهـأهـأ وأقـــــول
بمثلك صـحـيح ينضـحك عـالعـقـول
ياريت كـــان بدالك زريبـــــة عــجــول
إذا اللحــمــة بارت تـدور فى الطاحــون

●●●

ولد بيرم التونسى فى يوم الثالث من مارس سنة ١٨٩٣ فى الإسكندرية فى منطقة شعبية أصيلة فى حى الأنفوشى،



بيرم التونسى فى شبابه

بالسيالة الذى عاش فيه طفولته وكان مولده بعد ستين عاما من نزوح جده الى مصر عام ١٨٣٣ ليعيش مهاجرا فى الإسكندرية.

ومع الإقامة مهاجرا من تونس التصق به اسم التونسى.. كعادة المصريين فى نسبة المقيم بينهم إلى البلد الذى جاء منه، فنرى الشامى. والمغربى، والدمنهورى والطنطاوى، والبحيرى والإسكندرانى، إلى آخر هذه الصفات التى أصبحت بمرور الزمن ألقابا وأسماء لعائلات، قد تنم فى بعض الأحيان عن أصل هذه العائلات والمكان الذى انحدرت منه جذورها.

وانتقل اسم التونسى من الجد الى الإبن ثم الحفيد أما الأسم الأصلى لبيرم فهو محمود عبدالرحمن بيرم.. وبيرم أيضا أخذت من كلمة تركية بمعنى العيد.. وقيل فى ذلك أن مولده كان فى العيد فأطلقت كلمة بيرم على المولود.. وهكذا أصبح اسم شاعرنا أو شهرته محمود بيرم التونسى.

● ● ●

وشهد كتاب الشيخ جاد الله بالأنفوشى البدايات الأولى لبيرم التونسى.. ولكن عنف الشيخ فى تعامله مع تلاميذه جعله يكره هذا الكتاب وشيخه، فانتقل به والده بعد فترة أمضاها فى العمل فى دكانه، إلى المعهد الدينى فى مسجد أبى العباس المرسى.

ولم تدم الحياة هانئة فقد انتزع الموت أباه وهو بعد فى

الثالثة عشرة من عمره، فاضطر إلى ترك المعهد الدينى والعمل فى دكان أبيه فى التجارة التى توارثتها الأسرة.. تجارة الحرير.. ولكن الوفاة أطاحت بكل شىء. فقد ادعى أبناء عمومته أن أباه باع لهم دكانه قبل وفاته.. ولأنه أصبح المسئول عن أمه.. فقد اضطر للعمل فى محل بقالة.. ثم اضطرت الأم للزواج وهو فى السابعة عشرة من عمره.. ولكنها غادرت الحياة بعد ذلك بوقت قصير.

وتمضى به رحلة الحياة فيشترك فى محل بقالة مع أحد جيرانه من الصيادين.. ويتزوج بيرم.. وتضطرب حياته أكثر فيفلس محله.. فيبيع البيت الذى تركته له أمه.. ويدخل فى مشروع جديد لتجارة السمن هذه المرة.. ولكنه يعانى من الضرائب التى فرضها عليه المجلس البلدى فى الإسكندرية.. الذى يحجز عليه وعلى بيته.. فتكون قصيدته الأولى وبالفصحى.. التى حفظها الناس ورددوها.. عن «المجلس البلدى».

●●●

ولم يقفز بيرم هكذا دفعة واحدة إلى هذه القصيدة.. فالمحنة التى عاشها، أبدعت هذه القصيدة.. ولكنه كان قبل ذلك قد نهل من كل ما وقع فى يديه.. كان فى محل البقالة صبيا يقرأ كل ما يقع بين يديه من أوراق وكتب تأتى ليبيع فى أوراقها بضاعته.. وكان فى محله عندما شارك أحد

الصيادين، ينفق ماله ووقته فى شراء الكتَب وقراءتها.. وأفلس المحل.. وكان وهو صغير فى المعهد الدينى يقرأ كل ما يستطيع أن يشتريه.. ثم تعددت قراءاته.. يقرأ ألف ليلة وليلة.. ويقرأ عن «أبوزيد الهلالى».. ويقرأ أشعار ابن الرومى.. ويعجب به.. ويرى شعره من أحسن ما قرأ من الشعر.. رغم أن حافظته اتسعت بعد ذلك لنحو ثلاثين ألف بيت من الشعر.. ولم يكن يكتفى بالقراءة.. بل كان يسمع.. ويختلف الى الموالد ليسمع المواويل.. ويجلس إلى أحد البنائين فيسمع منه فيضا من المواويل والأدوار التى فاض بها التراث والموروث الشعبى القديم.

●●●

هكذا كان بيرم قارئا نهما.. ومستمعا جيدا.. وهاضما لتراث شعبى.. وتراث أدبى.. ومخالطا لطبقات شعبية عاش حياتها.. وفهم أطوارها.. وأصبح واحدا منها.. معبرا عنها.. يختزن رحيقها.. ثم يطلقه أشعارا صادقة.. وصورا نابضة بالحياة.

وكانت قصيدة المجلس البلدى هى تدشين لموهبة فرضت نفسها على كل لسان.. وحفظها الناس ورددوها بإعجاب كبير.. فقد رأوا فيها تنفيسا عن الضغط والكبت والظلم الذى يعيشونه.. ليس من المجلس البلدى فحسب.. وإنما من السلطة والاحتلال الإنجليزى بشكل عام.. فقد كان المجلس

البلدى الذى فرض الضرائب الباهظة فى الإسكندرية. معبرا عن سلطة الاحتلال، وسلطة الإدارة التى قد يعمل بها مصريون، ولكن يسيطر عليها ويديرها الاحتلال.

●●●

فى قصيدته «المجلس البلدى».. يقول بيرم التونسى :

قد أوقع القلب فى الأشجان والكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البلدى
أمشى وأكتم أنفاسى مخافة أن
يعدها عامل للمجلس البلدى
ما شرد النوم عن جفنى القريح سوى
طيف الخيال.. خيال المجلس البلدى
إذا الرغيف أتى، فالنصف آكله
والنصف أتركه للمجلس البلدى
وإن جلست فجيبى لست أتركه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدى
وما كسوت عيالى فى الشتاء ولا
فى الصيف إلا كسوت المجلس البلدى
كأن أمى بل الله تربتها
أوصت فقالت : أخوك المجلس البلدى
أخشى الزواج إذا يوم الزفاف أتى
أن ينبرى لعروسى المجلس البلدى

وربما وهب الرحمن لى ولداً
في بطنها يدعيه المجلس البلدى
وإن أقمت صلاتى قلت مفتتحا
الله أكبر باسم المجلس البلدى
أستغفر الله حتى فى الصلاة غدت
عبادتى نصفها للمجلس البلدى
يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدى

●●●

وكانت الشهرة التى حققها بيرم التونسى من قصيدته المجلس البلدى دافعا إلى إصدار مجلته الأولى «المسلة» فى عام ١٩١٩.. والتى أصدر منها ١٣ عددا.. ثم أغلقتها السلطة لنقده العنيف لها وللاحتلال.. كان يكتبها من أول صفحة إلى آخر صفحة وينتقد فيها كل شىء.. فلما ضاقت به السلطة.. وضاق به الاحتلال أوقفوها.. ولكن بيرم لم يتوقف.. فأصدر مجلة أخرى أسماها «الخازوق».. ولم يتح له أن يصدر منها غير عدد واحد فقط.. فقد هاجم فى هذا العدد اليتيم زوج الأميرة فوقية ابنة الملك فؤاد.. أو السلطان فؤاد، حيث لم يكن قد أصبح ملكا بعد.. فكان قرار الإغلاق.. ونفيه إلى تونس.

●●●

وفى تونس لم يطق بيرم العيش فى بلد لم يعرف عنه شيئا.. وقيل له أنه بلده.. لقد ولد فى مصر.. وولد أبوه فى مصر.. وأمه من مصر.. وجده خرج مهاجرا من تونس قبل ٦٠ عاما من مولده.. وخروجه من تونس كان ضيقا بأهله الذين جحدوه.. وأنكروه.. ثم جاء الدور على الحفيد.. ليجد نفس الجحود والنكران.

●●●

يقول بيرم التونسى عن نفسه عندما نفى إلى تونس :

الأوله آه .. والثانية آه .. والثالثة آه ..
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى..
والثانية : تونس وفيها الأهل جحدونى
والثالثة : باريس .. وفى باريس جهلونى
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى جزاة الخير
والثانية : تونس.. وفيها الأهل جحدونى وحتى الغير
والثالثة : باريس.. وفى باريس جهلونى ونا موليير
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى جزاة الخير واحسانى
والثانية : تونس.. وفيها الأهل جحدونى وحتى الغير ما صافانى
والثالثة : باريس.. وفى باريس جهلونى ونا موليير فى زمانى
الأوله : شربتنى من فراقها كأس.. بمرارة
والثانية : آه فرجتنى على الجمال ينداس.. ياخسارة
والثالثة : يا ناس يا ريتنى كان لى فيها ناس.. وإدارة

الأوله : آه.. والثـــانيـــة آه.. والثـــالثـــة آه
الأوله : اشـــتكيـــهـــا للى أجـــرى النيل
والثـــانيـــة : دمـعى عليـهـا غـرق البـاسـتـيل
والثـــالثـــة : لطشت فـيـهـــا ممتــثل وذليل
الأوله : آه.. والثـــانيـــة آه.. والثـــالثـــة آه..

●●●

هكذا بعـد فـتـرة انتـقل بيـرم المنفى إلى تونس، إلى فـرنسـا.. ضـاق بيـرم بما لقـيـه فى تونس.. وعـاش مع الاستعمار الفرنسى وإذلاله.. فغادرها إلى فرنسا ليستقر به المطاف حمّالا فى ميناء مـرسيليا.. ويمضى بها فتـرة عامين.. يعيش فيها حياة المنفى.. وتشتد به المعاناة.. قبل أن يتمكن من تزوير جواز سفر يتسلل به إلى مصر.. ويعاود الكرة مـرة أخـرى وتنتشـر أزجـاله من جديد.. نارا تحـرق الاستـعمار والسلطة.. فينتفضان فى أثره.. حتى يقع فى أيديهما.. ويكون النفى هذه المرة أيضا إلى فرنسا.

●●●

مع قسـوة الحيـاة فى المنفى.. لاينقطع بيـرم عن كتـابة أزجـاله.. معبـرا عن وطنه مصـر.. ومعاناة شعبها.. وفساد السلطة وقهر الاستعمار.. ويمرض بيـرم فى فرنسا مرضا يلازمه باقى حيـاته فـقـد عـمل فى شـركـة للصناعـات الكيميائية.. أدى عمله فيها إلى اصابته بمرض يؤدى إلى

فصله.. فساءت ظروفه.. وعاش حياة بائسة.. قاسية.

● ● ●

واستمرارا لمسلسل النفى.. يقع بيرم فى أيدى السلطات الفرنسية التى كانت تقوم بحملة لطرد الأجانب.. فتقوم فى عام ١٩٣٢ بترحيله إلى تونس.. فيعاود نشر صحيفة الشباب.. ثم يحاول الاقتراب من مصر فينتقل بين لبنان وسوريا.. حتى يقع مرة أخرى فى يد السلطات الفرنسية التى تقرر نفيه إلى إحدى الدول الافريقية، بعد أن أزعجتها أزجاله الساخرة والعنيفة.

● ● ●

وتتجه السفينة التى تحمل بيرم إلى قناة السويس.. تصل إلى بورسعيد.. وبيرم يتأمل أرض وطنه من بعيد باكيا.. فيلفت بكاءه نظر أحد ركاب الباخرة.. فيعرف قصته.. ويعرض عليه مساعدته فى النزول إلى بورسعيد والهرب من الباخرة.. فتكون هذه بداية العودة إلى مصر.. ونهاية سنوات المنفى التى تتصادف مع بداية حكم الملك فاروق، الذى يقبل التماسه.. ويعفو عنه.. لتتصل حياة بيرم بعد ذلك على أرض وطنه مصر.

● ● ●

ويروى بيرم التونسى قصة هروبه وعودته إلى مصر بعد رحلة طويلة فى المنفى.. بعد أن وصلت الباخرة به إلى

بورسعيد.. ونظر إلى المدينة والدموع فى عينيه.. فيقول :

«لمحت أحد المنبوطية فقلت له : «الواحد يقدر يتفسح؟» وفهم قصدى بسرعة.. وقال أمشى ورايا.

وقبلت تراب بورسعيد عندما دست عليه.. وأعطيت المنبوطى ٦٠ قرشا.. ثم جريت إلى المحطة.. وركبت القطار ووصلت القاهرة مع بوادر عتمة المساء، بعد ٢٠ عاما فى المنفى.

وأذاع راديو القاهرة نبأ هروبى من الباخرة.. كنت لا أغادر البيت إلا فى المساء لأجلس على مقاهى شارع عماد الدين.. لم يكن أحد يعرفنى، ما عدا بائع اليانصيب.. وكان يعترضنى كل مساء ويقول لى تاخد ورقة ياخواجا.

وانكشف أمرى.. وكتبت الصحف تطالب بالعفو عنى.. وأصدر أحمد حسنين باشا فى ذلك الوقت قرارا للبوليس بعدم التعرض لى.

●●●

وانطلق بيرم التونسى يثرى الحياة الفنية والسياسية بأشعاره وأزجاله.. مضت مرحلة العذاب والنفى.. وبدأ مرحلة جديدة من الانطلاق ليكتب فى عديد من المجالات.. فى الصحف والمجلات.. للإذاعة.. والسينما.. والمسرح.. تنشر أزجاله فى صحف متعددة.. فى «المصرى».. فى «أخبار اليوم».. ثم فى «الجمهورية» بعد أن انضم اليها فى

مطلع الخمسينيات.. يبتدع الفوازير فى الجمهورية.. وفى الإذاعة.. وتغنى له أم كلثوم.. وعبدالوهاب.. وفريد الأطرش.. غنت له أم كلثوم نحو عشرين أغنية.. لعل أشهرها شمس الأصيل، والأمل، وأنا فى انتظارك، والحب كده، وهو صحيح الهوى غلاب، ورائعته الدينية : «القلب يعشق كل جميل».

وقبل هذه القمم غنى له مطرب الشعب الشيخ سيد درويش الكثير من كلماته : «اليوم يومكم ياجنود».. و«ضيعت مستقبل حياتى».. و«أنا المصرى كريم العنصرين».



أم كلثوم مع بيرم التونسى

وكان بيرم قد ودع الدنيا، فى ٥ يناير ١٩٦١.. حينما كان موعد الحفل الشهرى لأم كلثوم.. فتشدو له من كلماته : «هوه صحيح الهوى غلاب».. لم يعش ليسمعها.. تحقق فيها أم كلثوم قمة من قمم تتحقق مع كل جديد تتحف به جمهورها.

●●●

وعلى أشعار بيرم التونسى.. تتلمذ جيل آخر من رواد هذا الفن.. على رأسهم الراحل صلاح جاهين.. وعبدالرحمن الأبنودى.. وسيد حجاب وفؤاد حداد.. وفؤاد قاعود.

ويكتب صلاح جاهين يرثى بيرم التونسى بعد أن فجع بوفاته.. كما فجع كل تلاميذه ومحبيه وكل أبناء جيله ووطنه.

يقول صلاح جاهين :

جايه عروس الشعر م البغالة
بملاية لف وكف متحنى
شافت صوان وحبال وناس شغالة
وأنا بابكى جنب الباب ومستنى
والشمس تقطر حزن ع الصبحية

●●●

مـين اللـى مـــات ياشب يابو دمــــوع
قــالت عـــروس الشــعــر للمـــوجـــوع
مين اللى مـــات ياشب. قل لى يا خـــويا
قــالت عــــروس الشــــعــر ليكون أبويا ..
أنا قلت أبونا كلنا يا صــبـــيـــة
وجنازته مـــاشـــيـــة أهه فى شـــارع الســـد
والنعش عــايم فى الدمـــوع فى عـــينيـــا

●●●

فـــايت فى قلب القـــاهرة ومـــعـــدى
هو عـــارفـــهـــا وهى مش عـــارفـــاه
على كل حـــجـــارة وكل عطفـــة يهـــدى
كـــأنه راجع لســـلـــه من منفـــاه
بيـــبـــوس بعـــينه اللبـــدة والجلبـــيـــة

●●●



فى حفل تأبين بيرم التونسى : من اليمين هدى حبيشة، أحمد رشدى صالح، د. عبدالحميد يونس، د. رشاد رشدى، صلاح جاهين

ده القبر ده .. والا كمان منفى
طالع عليه الشوك والحلفا
ده القبر ده .. والاكمان تبعيدة
حدفوه عليها كلمتين فى قصيدة

• • •

وقبل أن يكتمل الأسبوع الأول على وفاة بيرم، كانت أعمدة الصحف تفيض بالكتابات الرثاء من عمالقة الأدب والفكر لشاعر الشعب.. ونختار فى هذا الكتاب ما كتبه عملاق الفكر والأدب العربى عباس محمود العقاد، وما كتبه الشاعر الكبير كامل الشناوى.

• • •

كتب عباس محمود العقاد فى يومياته فى جريدة «الأخبار» فى يوم الخميس ١١ يناير ١٩٦١ عن بيرم التونسى تحت عنوان : «العبقرى الذى فقده العالم العربى».. يقول :

كان عبقريا ـ بلا مراء ـ ذلك الفنان الموهوب الذى فقده العالم العربى اليوم بكل ما ينطق به اللسان العربى من كلم مكتوب أو كلم يجرى على الألسنة، على اختلاف لهجاتها من أقصى ديارها الى أقصاها.

وكانت آية الآيات فى «بيرم التونسى» رحمه الله أنه كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية قبل أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة أو على الأقلام.

فكان من طرائفه المحبوبة حيث يأنس الى أصدقائه

والمعجبين به، أن يلقى عليهم حوارا يشترك فى أحاديثه خمسة أو ستة من أبناء البادية والحاضرة، يتحدث كل منهم بلهجته الموروثة ويتغنى أحيانا بنغماته التى توافق تلك اللهجة، وينتقل من سؤال إلى جواب ومن تعبير الى تعليق ومن جد الى فكاهة، كأنه جماعة من الناس يوشك أن تتعدد أصواتهم كما تتعدد أساليبهم فى الكلام وفى أنماط الحديث والغناء.

لم يكن ذلك كله من قبيل المحاكاة أو الإعادة (الآلية) التى يستطيعها الكثيرون، وإنما كان خلقا للشخصية المتكلمة وللعواطف والأحاسيس التى تكمن وراء الكلمات.

ومن تمام قدرته على الخلق والإبداع فى هذه الملكة الفنية أنه نشأ رحمه الله فى بيئة تونسية عريقة، وبقى الى ما بعد العشرين من عمره يتحدث على السجية، فيذهب لسانه على غير قصد منه الى نبرات تلك اللهجة ومصطلحاتها، ولقيناه وهو فى نحو الخامسة والعشرين يمزج فى حديثه بين اللهجة الاسكندرية واللهجة التونسية، وتبدر منه العبارة المغربية سهوا فيلحقها بلوازمها عمدا، ليقطع على المستمع إليه سبيل التقليد والدعابة.. فمن ملكات السليقة المطبوعة حقا أنه يقتدر بإرادته - بعد أن قارب الثلاثين - على إبداع أدوار الحوار بكل لهجة ينطق بها اللسان العربى من ساحل الأطلسى الى شط العرب، وما يليها من أطراف وأنحاء. ولم يكن ولعه باللهجات الدارجة عن قصور منه فى التعبير باللغة الفصحى شعرا ونثرا حين يشاء، فان منظوماته العربية طبقة من الشعر تسلكه بين النخبة المجيدين من شعراء عصره،

وسمعنا باسمه لأول مرة فى الاسكندرية فكان أول ما سمعناه له قصيدته الظريفة التى حمل بها على المجلس البلدى قبل نصف قرن وقال فيها من أبيات مطولة :

يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدى
كأن أمى بل الله تربتها
أوصت وقالت أخوك المجلس البلدى

وقد سمعنا له بعد ذلك شعرا «جديا» على هذا النسق من الفصاحة وحسن الأداء، وشعرا فكاهيا يحكى به بعض الشعراء ومنهم زميلنا عبدالرحمن شكرى قائلا على لسانه :

شعرنا عبقرية
كحنين المزامر
موج بحر عبابه
كعباب العساكر

ومنهم زميلنا المازنى قائلا على لسانيه ومحاكيا له يتفخم ألفاظه ومعانيه :

تذوب خروق الدهر فى مصنع الدجى
كما ذاب لون الثلج والثلج ذائب

ومنهم كاتب هذه السطور وقد قال سامحه الله على لسانه :

لا يغرنك أمير أن وزير
كل من تلقاه ـ والله ـ حمير

وكل شعره الجدى والفكاهى على هذه الطبقة التى كانت تسمح له ـ لو أراد ـ أن يقصر منظوماته كلها على اللفظ العربى الفصيح، ولكنها طبيعته التى كانت تحن الى المعيشة بين أولاد البلد هى التى حببت اليه أن ينظم بلهجة الازجال ويسوق عباراته بلهجة المعيشة اليومية فى البيت والسوق.

قد كنا نحب لقاءه حيث كان يحب أن يعيش ويقضى سهراته ويختار أدواره وألحانه وموضوعاته، وانقضت سنوات كانت مراقبة الشرطة له كأنها مراقبة لكاتب هذه السطور وأصحابه، لأنه كان ينتقل فى مبيته ليلة أو ليلتين عند كل زميل من رواد المجلس : مرة عند الأخ المرح «السيد مجاهد» رحمه الله، وكان يقيم قبل نحو أربعين سنة الى جوار الجامع الأزهر ويعمل بمكاتب ادارته، ومرة عند صحفى نشيط اللسان والقدمين كان يتردد بين العمل فى الصحافة والعمل فى الشركات، وكان يستعين بفن بيرم على نظم الازجال الشعبية لترويج أصناف شركة السماد بين أبناء الريف، ومن هذه الشركة تسلم بيرم رحمه الله أول «عشرين جنيها» قبضها دفعة واحدة فقبل أوراقها ورقة ورقة، حمدا لله على هذا الرزق الذى سبق اليه فى الخفاء.

وربما قضى ليلة بعد ليلة من ليالى الفزع والحذر على مقربة من مسكنى بالمنشية الى جوار القلعة، ويحتاج الى الشمعة التى تضىء له حجرته المهجورة فيمد يده الىّ نافذة ضريح على الطريق، ويختطف شمعته المضاءة وهو يلعن الغفلة والمغفلين!

ولاننسى من مروءات محمد محمود (باشا) رئيس الوزارة أنه كان يعلم أن «بيرم التونسى» كان طريد القصر بعد عودته من فرنسا، ولكنه كان يحميه على البعد، وكان يجرى على خطة عجيبة فى حمايته للرجل الذى نفى مرتين لحملاته المتلاحقة على الملك السابق احمد فؤاد وذويه، فكان يأمر الشرطة المسئولين أن «يحجزوا» كل من يبلغ عن طريدهم هذا ولا يتركوه قبل أن يلقى رئيس الوزارة لسؤاله.. فأصبح حذر المبلغين من التبلغ أشد من حذر الطريد المطلوب.. وكنا نلقى رئيس الوزارة أحيانا فى تلك الأيام فيسألنا عما قاله بيرم فى هذا الأمر أو فى تلك القصة فنحيله إلى الشاعر الراوية الظريف «مصطفى حمام» لأنه يكاد يستظهر كل ما نشره بيرم من منظوم أو منثور.

عاش بيرم - أيام اختفائه - فى صميم البيئة البلدية، وألفها تلك الألفة التى قيدته بها طوال حياته، وأوحت اليه أن «يصورها» أصدق تصوير عرفناه لأديب حديث أو قديم، ولا نستثنى السفينة الشهابية التى كانت تعد قبل نبوغ بيرم فى فنونه البلدية موسوعة هذه الفنون. فانها على تعدد جوانبها لم تتسع لغير القليل مما تناوله بيرم من أطوار المعيشة اليومية إلى الزمن الأخير.

إن «بيرم» كان فى الحق ينبوعا فياضا من ينابيع الفنون الشعبية، نظما وغناء وتمثيلا، بل تصويرا بالقلم يعطينا من

صور الحياة العصرية ما تعجز عنه ريشة الفنان الصناع، وإن فقدانه لخسارة لاتعوض، لأن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية لا ينفق منها بغير حساب، فإن يكن عزاء من هذه الخسارة، فالعزاء المستطاع أن نعيد الى قراء هذا الجيل مجموعة إنارة التى تبلغ مئات الصفحات، وليس منها ما يجوز عليه الإهمال والنسيان، لأنها على تفاوت درجاتها من الإجادة الفنية درجة واحدة فى صدق التصوير وأصالة الشعور والتفكير.

لقيته آخر مرة وهو يجد غاية الجد فى السعى الى صيانة حقوق المؤلفين والمنتجين، فلعلنا نحفظ له حقوقه بعد ذهابه، فنحفظها فى الواقع لمن يستمتع بها ويجنى ثمراتها، وهم بين أرجاء العالم العربى من مشرقه الى مغربه مئات وألوف».

●●●

وفى اليوم التالى.. فى يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٦١ كتب الشاعر الكبير كامل الشناوى يرثى بيرم التونسى فى يومياته فى «الجمهورية» تحت عنوان «أيام مع الشاعر الثائر الغريب».. يقول كامل الشناوى :

«بدأ من حيث كان يجب أن ينتهى، وانتهى من حيث كان يجب أن يبدأ .. ففى مستهل حياته نظم الأوبريت والمسرحية، وعندما بلغ الخمسين أخذ ينظم الاغانى العاطفية.. وكان

يرى أن الأغنية بالنسبة إلى العمل الفنى، هى الشباب بالنسبة إلى مراحل العمر.. ويقول ساخرا: ماذا أصنع وقد أراد لى القدر ألا أجد شبابى إلا وأنا شيخ كبير.

وهو شباب لا أمارس فيه النزق والطيش والتحرر من المسئولية، ولكنى أمارس فقط الشعور بالحب، أو على الاصح الشعور بوهم الحب!

والأعمال الفنية التى تركها الشاعر تؤلف جبلا، قمته محاولاته المسرحية، وتصويره للمجتمع والناس، وفلسفته البسيطة فى الحياة. أما أغانيه فهى سفح الجبل . ولقد عرفته الملايين بالسفح أكثر مما عرفته بالقمة!

هذا الشاعر الفنان الثائر عاش طوال حياته يعانى العرق، والقلق، وشظف العيش، وقد يتهيب خاصة المثقفين عندنا من الاعتراف به، فى حين كانت جامعات أوروبا وجامعة موسكو تدرس اثاره، وتعترف بموهبته الاصيلة، وفنه الرفيع!

ولكنه كان دائما فى المكان الأول من تقدير الشعب، فهو شاعر الشعب، نبع فيه، وعاش حياته، وأحس ألمه، وأمله، وإرادته، ومشاعره. واستطاع أن يسكب من شعره، دمعة الشعب، ويرسم ابتسامته، ويعبر عن إرادته، واصبح شعره فى كل فم، النشيد، والأغنية، والموال!

وبعدما أصبحت الدولة من الشعب، عبرت عن احترامها لشاعر الشعب، ووضعت وسام الدولة على صدره الذى ظل

أكثر سنى حياته يجيش بمشاعر الوطنية، والعروبة، والمرارة، والثورة، والربو!

واليوم هدأت النفس البشرية الثائرة، وتوقف القلب النابض، وتجمد الفكر الذى كان اشبه بالموج. فقد أغفى شاعرنا بيرم التونسى إغفاءة الأبد.. وقلمه فى يده يكتب به تكملة القصة الإذاعية، الظاهر بيبرس.. مات وعنده كثير يريد أن يعطيه للناس.

وسارت جنازة بيرم، وأقيمت ليلة مأتمه، والإذاعة تقدم برامجه والمسارح تمثل رواياته، وأم كلثوم تردد آخر أغنياته!

وبيرم كان شاعرا شعبيا أصيلا. والشعب هو الطبقة الكادحة. طبقة العمال، والفلاحين، والعاملين فى حقول الفن، والثقافة، ليس الشعب هو هؤلاء الكسالى، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، فهم فى عقيدته، ليسوا من الشعب، ولكن عالة على الشعب.

وقد أحب بيرم الطبقة الشعبية المتحركة المفكرة، فأشاد بمزاياها، وصارحها بعيوبها، وفى مطلع حياته اتجه بنقده الى علماء الدين، ولم يكن بيرم يكره العلماء، ولا كان ضعيف الإيمان، فهو شديد التدين، حريص على تأدية الفروض والواجبات.

واتجه ايضا إلى نقد العادات والتقاليد المعترف بها فى البيئات الفقيرة.

وهاجم الأدباء والمفكرين والفنانين لأنهم لا يتجاوبون مع الشعب فى معاناة آلامه، وحل مشكلاته.

إن الشعب هو العامل فى أى حقل، وأى ميدان.

وكان بيرم إذا تكلم عن العمال، يهز القلوب ويثير المشاعر، يقول على لسان العامل الكادح :

ليه أمشى حافى
وأنا منبت مراكيبكم؟
ليه نومى عريان
وأنا منجد مراتبكم؟
ليه بيتى خربان
وأنا نجار دواليبكم؟
هيه كده قسمتى
الله يحاسبكم!
من الصباح للمسا
والمطرقة فى إيدى
ساكت على دى الأسى
حتى نهار عيدى

ابـن الـســـــبـــــيـل اتـكـســى
واســـــحـب هـرابـيــــدى
تتــعـــروا مـن مــشـــيـــتـى
واخــــجـل أخـــــاطـبـكـم!
ليــه تهـــدمـــونى وأنـا اللـى عـــزكم بانـى؟
أنـا اللـى فـــوق جـــسـمكم قطنـى وكـــتـــانـى
عـــيلتى نهـــار دفـنتنى مـــالقـــتش أكـــفـــانـى ..
حـــتـى الأســـيـــة وانـا راحل وســـايبكم؟؟

بدأ بيرم عمره الفنى من ستين عاما، كان طفلا صغيرا، يشتغل فى دكان بقالة، يملكه والده، أو أحد أقربائه، وتعلم القراءة والكتابة وهو فى العاشرة، ووقعت فى يده مجموعة أزجال لعبد الله النديم، فحفظها، وأخذ يحاكيها، ثم قرأ مقامات الحريرى، فقلدها، وحفظ القرآن، وحاول تقليد الأسلوب القرآنى بسورة «سعد زغلول» وأول هذه السورة س.ع.و، وقد ذكر لى أنه لم يندم على شىء كما ندم على تقليد القرآن الكريم. وكان يعتقد أن كل ما حدث له من نكبات يرجع الى هذا الإثم الذى دفعه إليه طيش الشباب!

وذات يوم، اجتمعت به، وبالأستاذ مصطفى حمام، وظل حمام يروى أشعار بيرم، وآثاره، ومتعلقاته، ثم تربع، واستعد

لترتيل سورة سعد، فانتفض بيرم غاضبا. وقال له : إذا حاولت قراءة هذه السورة فسوف اترك المجلس فورا. واذا سمعت أنك قرأتها فى أى مجلس.. فلن تكون صديقى!

واجتاز بيرم مرحلة المحاكاة والنسج على منوال من سبقوه، وهى مرحلة حتمية لكل صاحب موهبة، وعندما بلغ سن العشرين تكونت شخصيته الفنية، وصار له أسلوب خاص فى الكتابة والشعر، ومنذ ذلك الحين لم يعد يحاكى أحدا، وإن كان قد أجاد لهجات لبنان والمغرب، والحجاز وغيرها. وهو لا يحاكى اللهجات فحسب، ولكن يحاكى ايضا عقليات المتحدثين بها، فينفذ الى خلجات نفوسهم، ويحولها الى أثر فنى جميل.

وعاش بيرم حياته غريبا.. فهو فى مواهبه الفذة المتعددة غريب.. يكتب باللغة الفصحى، وباللغات العامية، وينظم الشعر الفصيح، والشعر الدارج، ويؤلف المسرحية، والأوبريت، والأغنية، والنشيد. وهو فى كل ذلك يمتاز بصدق الإحساس، ونفاذ الفكرة، وعمق التأمل، وبراعة الأسلوب.

وهو فى دنياه غريب.. موطنه الأصلى تونس، ومسقط رأسه مصر، وقد ظل بلا جنسية.. السلطات المصرية الخاضعة للاستعمار البريطانى عدته تونسيا فنفته من مصر، والسلطات التونسية الخاضعة للاستعمار الفرنسى عدته مصريا فنفته من تونس!

كيف عرفته؟

سمعت اسم بيرم لأول مرة فى عام ١٩٢٥، كنت صبيا بعد، وكنت أسمعه من أساتذتى الكثير عن بيرم، وأزجاله التى نظمها قبل ثورة ١٩١٩، وخلال الثورة، وكيف هاجم الملك فؤاد عندما أنجب ولى عهده فاروق. فنظم زجلا أشار فيه إلى أن ولى العهد ابن حرام!

وقررت السلطات نفى بيرم من مصر، وغادر البلاد، إلى غير اتجاه. إنه لايعرف أين يذهب؟ وأخيرا استقر فى مرسيليا، ثم فى باريس، وهناك احترف أقسى الاعمال، كان يحمل الصناديق المحملة من داخل المصنع الى العربات الواقفة بباب المصنع.

وضاق بحياته. وكان يراسل الصحف المصرية، يبعث إليها بمقالات وأزجال. ولم يتقاض على كتابته أجرا. ولما أصدر الدكتور احمد زكى ابوشادى جريدة الأيام، طلب من بيرم موافاته بكل آثاره. واتفق معه على أجر شهرى، ولكن الجريدة لم تنتظم فى الصدور غير بضعة أشهر.

ومن باريس كتب زجلا يقول فيه :

الفجر نايم واهلك يا باريس صاحيين
معمرين الطرق .. ماشيين على حبال

ينشف عليها الغسيل والطبلة والغربال!

وفى عام ١٩٣٩ التقيت ببيرم.. كان قد دخل مصر متخفيا، وكنت إذ ذاك محررا فى جريدة الأهرام، وزارنى الاستاذ سعيد راتب زوج كريمة بيرم وسلمنى ورقة، وقبل أن اقرأها سألنى :

هل عرفت أن الاستاذ بيرم موجود الآن فى القاهرة؟

- وأين هو؟ أريد أن أراه؟

- كيف تراه؟ إن البوليس يبحث عنه فقد هرب من الباخرة عندما رست فى ميناء بورسعيد.. وتسلل الى القاهرة.. وقد أرسل لك هذا الخطاب لأنه يعلم مدى إعجابك به. فهل تستطيع أن تصنع له شيئا؟

وقرأت الورقة، وإذا هى تنطوى على تحية رقيقة مؤثرة وزجل.

وذهبت إلى أستاذنا أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام، ورويت له القصة. فقال : ان محمد محمود رئيس الوزارة ومحمود فهمى النقراشى وزير الداخلية وأحمد حسنين الأمين الأول فى القصر من أشد المعجبين ببيرم التونسى. وقد سمعت منهم بعض أزجاله، وسأتصل بهم الآن، وأستاذنهم فى نشر زجل بيرم، ليبذلوا مساعيهم عند الملك كى يعفو عنه ويسمح له بالاقامة!

وبعد ساعتين، استدعانى انطون الجميل وقال لى : سننشر الزجل فى الصفحة الاولى.. وكانت هذه هى أول مرة ينشر فيها الاهرام زجلا فى الصفحة الاولى، أو فى أية صفحة.

وكتبت كلمة أشرت فيها إلى أننا تلقينا هذا الزجل من مجهول، وهو بخط بيرم التونسى، وقد أرفق به رسالة تشير الى أنه موجود فى القاهرة والتمسنا العفو عنه بعد ما أبداه فى زجله من استعطاف.

ونشرت «الأهرام» الزجل، وبعد أيام، صدرت الاوامر لرجال البوليس أن يتجاهلوا وجود بيرم التونسى فى مصر!

واتصلت ببيرم فى أحد مخابئه، وكان له أكثر من مخبأ، وطلبت منه أن يقابلنى فزارنى فى بيتى، بعد منتصف الليل، وظللنا ساهرين إلى الصباح. وقد أبدى خوفه من أن يكون ما حدث كمينا نصبه له رجال البوليس وظل متخفيا عشرة أيام، ثم خرج.

وكتب بيرم:

وشبعت يارب غربة ..

بين الشطوط والبواخر..

ومن بلادنا لأوربا..

وقلت عـالشـام أسـافـر..
إيـاك ألاقـى لـى تـربـه..
فـيـهـا أجـاور «مـعـاوية»..
وأصـبح حـمـاية «أمـيـة»..
جـاورت «قـايسـون» وجـيـرته..
توحش.. ولا فـيـهش حـاجـة..
وعـزرائـيل انـتـظـرته..
مـا جـاش.. وجـانى الخـواجـه..
نـافخ وسـابق امـارتـه..
وقـال لى : شـوف السـمـاجـه..
البـر تحت انتـدابنـا..
اطع.. دى مـا هش وسـيـه!
رجـعـت للبـحـر تانى..
مـحـتـار.. أسـافـر فـرنسـا؟..
ولسـه طعـم «البـودانى»..
فـاكـره.. وأنا عـمـرى مـا انسى..

وإن رحت تونس كفانى..
عذاب أنا والتوانسيه..
«جاملان» محضر مدافن..
للأمة.. والأمة حيه!..
فى بورسعيد السفينة..
رست تفرغ وتملأ..
والبياعين حوطونا..
بكارت بوستال .. وعملة.
لكن بوليس المدينة..
ماتزوغشى من جنبه نمله..
يابورسعيد ألف حسرة..
ولسه طعم «البودانى»..
هتف بى هاتف وقال لى..
انزل.. ومن غير عزومه..
انزل دى ساعة تجلى..
فيها الشياطين فى نومه..

انـــــزل دا ربــــك تمـــلــــلــــى..
فــــوقـك وفـــوق الحـكـومــــة..
خطيت فى ســـتـــر المهـــيـــمـن..
للبــــر.. يا حكمــــداريه..
وأقـــول لكم بالصـــراحــــة..
اللى فى زمــــانـنا قليلة..
عـــشـــرين سنة فى الســيـاحـة..
واشـــوف مناظر جـــمــيلة..
مـــاشـــفـت يا قلبى راحـــة
فى دى الـــسـنـين الطـويلة..
إلا مـــا شــفت البـــراقـع..
واللبـــدة.. والجــــلابيـــة!

وبين البراقع واللبدة والجلابية.. بين الشعب الحقيقى نشأ الشاعر، وعاش، ولفظ أنفاسه الأخيرة..

وكانت فلسفته فى الحياة والموت فلسفة بسيطة واقعية، يقول :

قال ايه مراد ابن آدم؟

قلت له : طقه

قال إيه يكفى ابن آدم؟

قلت له : شقة!

قال : كيف يموت ابن آدم؟

قلت له : زقه!

قال : فيها حد مخلد؟

قلت له : لأه!

كان بيرم والحياة.. شراعا وعاصفة.. العاصفة هوجاء، والشراع صامد.. واليوم انطوى الشراع وتحول الى بارجة تهزأ بالعواصف وتشق البحر..»

•••

قبل أن يغيب بيرم التونسى عن الدنيا.. كان تكريم الدولة له ممثلا فى تكريم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، الذى منحه جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٠.

•••

قدم التليفزيون فى مصر عملين عن بيرم التونسى.. كان فى أحدهما أحد الشخصيات التى صاغ مؤلف مسلسل أم كلثوم المسلسل من خلالها.. أما الثانى فكان مسلسلا خاصا به يتناول حياته بشكل رئيسى.. كتبه وأخرجه الصديق العزيز والمخرج التليفزيونى شوقى جمعة والذى تخصص فى الفن الشعبى.

●●●

وقد تعرض شوقى لعملية ابتزاز وتصب فى كتابة مسلسله من أحد المترددين على مكتبه.. والذى قدم له بعض قصاصات الصحف التى تحمل بعض معلومات عن بيرم التونسى، عندما كان شوقى فى مرحلة كتابة المسلسل.. ولكن شوقى فقد هذه القصاصات، فى الوقت الذى كان صاحبها يطارده لاستعادتها.. وفى آخر الأمر طلب أن يكتب له ايصالا بهذه القصاصات.. فقام شوقى جمعة ضيفا بالحاح الرجل بتوقيع ورقة من على مكتبه. وقال له : اتفضل اكتب الايصال اللى انت عايزة.. كنت احد شهود هذه الواقعة.. بل الشاهد الوحيد.. فقد كنت فى زيارة شوقى جمعة فى ذلك الوقت.. ولمته، على توقيع «ورقة على بياض» فقال لى شوقى بطيبته المعهودة : «يعنى حيعمل بيها ايه.. ولا حياخذ منى ايه».. ولكن ما حدث كان أسوأ مما كان يتصوره أحد.. فقد أخفى الرجل تلك الورقة، حتى ظهر المسلسل الى النور.. وعندئذ أظهرها وقد كتب فيها اقرارا موقعا من شوقى جمعة يقر فيه

بأن هذا الرجل هو شريكه فى تأليف هذا المسلسل.. وكانت مفاجأة لشوقى وللجميع الذين كانوا يرون شوقى مكبا على أوراقه فى مكتبه يكتب الحلقات التى يخرجها.. ولا علاقة لهذا الرجل بتأليف حلقات بيرم التونسى.

وفى التحقيق الذى جرى، أنكر شوقى جمعة أى دور لهذا الرجل فى تأليف هذه الحلقات، وكان صادقا، واستشهد بى، فى واقعة توقيعه «ورقة على بياض».. ملأها الرجل بعد ذلك بما شاء.. ولكن لم يكن للشهادة أى أثر.. فالتوقيع توقيع شوقى جمعة.. ولم ينكره.. والرجل ارتضى وقبل ضميره أن يضع اسمه مؤلفا لعمل لم يخط فيه سطرا.. وارتاح ضميره لما فعل.. بل لنقل مات ضميره.. وقبل أن يتقاضى أجرا عن عمل لم يكتب فيه سطرا واحدا..!

● ● ●

وفى فصول هذا الكتاب نتابع معاً ملامح أخرى من حياة بيرم التونسى، كما رواها هو على صفحات «الجمهورية» فى يومياته الأسبوعية، وفى حواديته الأسبوعية أيضاً التى كان ينشرها على صفحات «الجمهورية» كذلك.

وقد اخترنا واحدة من يومياته رأينا أنها تكاد تكون مقدمة لحواديته، التى ملأها بأحداث عاشها، وشخصيات التقى بها فى المنفى، ومزج بينها وبين حياته فى مصر، وآرائه فى كثير من القضايا والأحداث.

● ● ●

وفى اليوميات التى اخترناها فى هذا الكتاب لننشرها فى فصله الأول يقدم شخصية «جلى جلى» وهو شاب مصرى من أبناء الإسكندرية، التقى به فى باريس وقد أجاد أعمال الحواة، دون أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة، واستطاع أن يكون ثروة فى باريس.. وهو يتناول هذه الشخصية بعد ذلك فى حواديته أكثر من مرة.

●●●

وفى أول الحواديت فى الفصل الثانى من هذا الكتاب يقدم جانباً من الحياة فى أوساط المغاربة المغتربين فى باريس من خلال حفل ختان لطفل صغير.. ومن خلال هذا الحفل يقدم شخصيات عديدة بينها راقصة يهودية من أصل جزائرى، ينفذ من خلالها إلى نقد المجتمع العربى، وسلوكيات جانب من أفراده، ويتابع جانباً آخر من حياة الساحر المصرى جلى جلى.

●●●

أما فى الفصل الثالث من هذا الكتاب فيتجه بيرم التونسى فى حواديته إلى شخصيات المجتمع الباريسى، من خلال شاب مصرى ابن أحد أثرياء الريف الذى جاء لدراسة فى باريس فشغلته الحياة مع نسائها، فتنقل بين ألوان مختلفة

من هؤلاء النساء، تختلف أحكامه عليهن، مع الواقع الذى يفاجئه بصور أخرى مختلفة لهن.. وهو ما يفعله بيرم كذلك مع سيدة الفندق الذى يقدمها جادة متجهمة ثم إذا هى فى المساء يلتقى بها فى منطقة البيجال فى باريس تمارس أقدم مهنة فى التاريخ وتقف عارية الساقين تستجدى اعجاب المارين.

●●●

وفى الفصل الرابع يتابع بيرم التونسى فى حواديته تقديم نماذج من الشخصيات التى عرفها فى باريس ويقدم شخصية بن غبريت وكان بوابا للقنصلية الفرنسية فى تلمسان وجاء إلى باريس عند نقل القنصل إليها واصطحبه معه ليقدمه للقنصل بعد ذلك عالما بأمورالدين ويتوصل بن غبريت إلى الحصول على قطعة أرض لبناء مسجد فى باريس ويلحق به مطعما ومعرضا للسلع الشرقية وحماما ويصبح المسجد أمرا ثانويا لايؤدى فيه إلا صلاة العيدين الفطر والأضحى ويصبح النشاط فى المطعم والمعرض هو كل شىء .

●●●

ويتعرض بيرم التونسى فى الفصل الرابع أيضاً إلى رسائل الدكتوراة من السربون ويقدم نصائح للراغبين فى الحصول عليها فى كيفية اختيار موضوع يروق أساتذة السربون، ثم اللجوء إلى الكتاب الجالسين علي الأرصفة والذين يحترفون صياغة «الفكر العلمى» لصاحب الرسالة. وفى النهاية يصدر الأساتذة حكمهم لصاحب الرسالة «إنك زودت الثقافة العامة بمعلومات جديدة وسلطت أشعة أنوارك على أركان كانت مظلمة».

ويكشف بيرم التونسى بهذا بعض أسرار الحصول على الدكتوراة من السربون ويشير فى نهاية حديثه إلى دكتوراة زكى مبارك الذى كان يسمى نفسه الدكاترة زكى مبارك وكان حريصاً على الحصول على هذه الدكتوراة إلى جانب الدكتوراة التى حصل عليها من مصر.

●●●

فى حودايت الفصل الرابع أيضاً يروى بيرم التونسى جانبا مما كان يدور فى كواليس الفن المصرى من خلال علاقته بالفنان عزيز عيد والفنانة فاطمة رشدى وقد جاء إليه فى باريس والتقيا به مع صديقه إدمون تويما واتفقا مع بيرم على إعادة كتابة بعض المسرحيات المترجمة بأسلوبه «الزجلى»،

ويروى بيرم كيف كان الحصول على أجره بعد نجاح عمله مشكلة وكيف كان عزيز عيد وفاطمة رشدى يفتعلان الخلافات بينهما ليتهربا من السداد.

●●●

لقمة العيش فى باريس هى محور حواديت الفصل الخامس فى هذا الكتاب وقد تأتى هذه اللقمة بالعمل الشاق أمام أفران الصلب أو حتى بالعمل الميسر -نسبيا- والذى اكتشفه بيرم فى أواخرأيام النفى فى باريس وهو نقل أقفاص الخضر والفاكهة فى الليل المتأخر من عربات نقلها إلى داخل سوق الخضر.. وقد تأتى لقمة العيش كذلك من خلال عمليات نصب وهنا يعرض بيرم التونسى لنماذج من الذين التقاهم فى باريس وعاشوا حياتهم ينصبون ويكسبون.. نصب من خلال جمع اشتراكات صحيفة لا تصدر بعد أن يضع النصاب اشتراكاتها فى جيبه.. أو نصب من خلال التعيش على حساب النساء.. واقتناص دخلهن كله.. وهن سعيدات بذلك.

فى هذا الفصل أيضا يروى بيرم التونسى كيف تعرف بالشيخ سيد درويش فى الإسكندرية.. ويقدم صورة لمشايخ وفنانى العشرينات.. وأفراح زمان.

●●●

ويتابع بيرم التونسى فى حواديته فى الفصل السادس من الكتاب تقديم صورة عن حياته فى باريس وكيف اهتدى الى العمل فى متجر باريسى كبير كان سعيدا بالعمل فيه.. وكيف أحس بالمهانة وهو يتقاضى البقشيش لأول مرة، ولكنه لم يهنأ طويلاً بالعمل المريح..

فقد نقل اليه أحد معارفه أن رئيس الدولة المصرية فى زيارة لباريس قبل توجهه الى لندن للتفاوض مع الانجليز على الجلاء من مصر.. وأوعز إليه أن يتوجه إلى الفندق الذى يقيم به ليطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر.. ولكن الرجل يتوجس خيفة منه ويظن به الظنون ويرسل اليه بالبوليس الذى يفسد عليه حياته.

ولا يذكر بيرم التونسى اسم هذا الرجل، ولكنه يذكر كلماته الشهيرة: «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز».. لكى نعرف أنه مصطفى النحاس باشا.. رحم الله الجميع.

●●●

فى هذا الفصل أيضا من الحواديث قصة أحد المشتغلين بالنقد الفنى فى مصر، وهو لا يذكر اسمه أيضا مكتفيا بذكر اسمه الأصلى، عندما مارس الخيانة مبلغا عن زملائه من الأزهريين الذين كانوا يقاومون جيش الاحتلال البريطانى..

وليقبض مكافأة الإبلاغ.. دون أن يعبأ بشنق وحبس ثلاثين من زملائه نتيجة إبلاغة عنهم.. وهو يأخذ المكافأة ويترك الأزهر، ويتخفى فى هيئة جديدة واسم جديد.. ليعيش على النقد الفنى، أو فى الحقيقة يعيش على سرقة أعمال الغير وابتزاز العاملين فى الوسط الفنى من مؤلفين ومخرجين وممثلين.. وكان بيرم التونسى أحدهم، وقد رفع أمره إلى القضاء فكسب القضية فى مرحلتها الأولى وخسرها فى الاستئناف بسبب شهادة زور لعدد ممن جلبهم هذا الخائن.. ولكنه لجأ الى نقض الحكم.. وتنتهى حياة هذا الخائن بإصابته بالشلل.. وهو فى المحكمة فى قضية أخرى يرفض فيها دفع نفقة لأبناء شقيقه المتوفى.. ويقسم كذبا أنه لا يملك شيئاً.. فما يكاد ينتهى من قسمه حتى يسقط فى أرض المحكمة مصابا بالشلل.

وفى الحواديت مازال فى جعبتنا الكثير مما نأمل أن نقدمه فى مرات قادمة.

ونلتقى فى الشهر القادم مع كتاب جديد بإذن الله

صلاح عطية

salahattia@hotmail.com

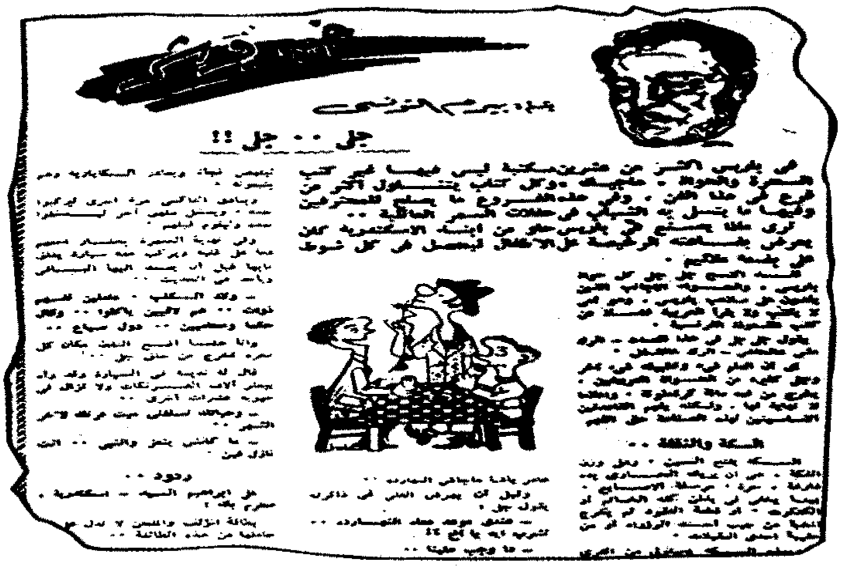
القاهرة: مارس ٢٠١٠

الفصل الأول

خير وشر

جلى.. جلى

«تقديم»


جل .. جل !!

هذه واحدة من «يوميات بيرم التونسى» التى كان يكتبها على صفحات «الجمهورية» مرة كل أسبوع.. وقد اخترنا أن نبدأ بنشرها فى هذا الكتاب الذى يضم عدداً من «حواديت» بيرم التونسى.. لأنها تتصل بهذه الحواديت وتكاد تكون مقدمة لها.. وهو يبدأ فى هذه اليوميات قصة «جلى جلى» الحاوى المصرى المقيم فى باريس.. ويتابع فى حواديته بعد ذلك الحديث عن «جلى جلى».

و«جلى جلى» كما يقدمه بيرم التونسى فى هذه اليوميات شاب من أبناء الإسكندرية، «أمى لا يكتب ولا يقرأ العربية، فضلا عن كتب الشعوذة الفرنسية».. وهذه الكتب تمتلئ بها أكثر من عشرين مكتبة فى باريس ليس فيها غير كتب السحرة والهواة «ماجيك».. و«جلى جلى» بالتالى لا علاقة له بهذه الكتب وإنما هو يرى أن الأهم من ذلك هو الحفظ.. والمران.. فهو يتمرن تمرينا شاقا متواصلا حتى يبرع فى مهنته.. ويقدم بيرم التونسى فى هذه اليوميات جانبا من معالم شخصيته «جلى جلى»، الذى نجح فى جمع بعض الأموال من مهنته، ولكنه ينفقها بسخاء على الطلبة المصريين الدارسين فى باريس، والذين يفلسون بعد اليوم العاشر فى الشهر بانتهاء أموالهم.. يجلسون بعدها فى انتظار أول الشهر.. ولكن «جلى جلى» يتوجه إلى تجمعاتهم فى المقاهى.. ثم يغدق عليهم ويدعوهم إلى الشرب على نفقته.. ثم الطعام أيضاً.. «لكى ينفس عما فى صدره».. ويشعر أنه أهم وأفضل من هؤلاء الذين «لا يقيمون له وزنا ولا يرحبون

به إذا زارهم فى المقاهى التى اتخذوها مقراً لهم». عندئذ تكون خطته للتنفيس عن نفسه.. ودعوتهم فى أوقات الضنك والشدة.. إلى الشراب والطعام.. ويسعد وهو يراهم يتلهفون على دعوته.. وعلى الشراب والطعام الذى يدفع قيمته فى سخاء.. وكان هذا هو انتقامه: «من أولاد الذوات الذين يحتقرونه»..

ولا ينسى بيرم التونسى أن يضيف فى ختام يومياته ردودا على بريد يصله، ويجد فى رسالة قارئ من الإسكندرية الفرصة للتندر على جمعية المؤلفين والملحنين.. التى عجزت عن حماية حقوقهم.. وسمحت بعضويتها حتى للبوابين ماداموا قادرين على دفع مائة وعشرين قرشا ثمن بطاقة العضوية.. لتنمية موارد هذه الجمعية.

«خير وشر».. يوميات بيرم التونسى.. نشرتها «الجمهورية» فى عددها يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٥٧، ونتابعها معاً على الصفحات التالية.



الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٥٧

خير وشر

جلى - جلى

بقلم : بيرم التونسى

فى باريس أكــثــر من عشرين مكتبة ليس فيها غير كتب السحرة والهواة «مـاجـيك»، وكل كـتـاب يتناول أكثر من فرع فى هذا الـفـن، وفـى هـذه الفـروع مـا يصلح للمحترفين وفيها ما يتسلى به الشـبـاب فى حفلات السمر العائلية..



بيرم التونسى



الصفحة الثامنة من «الجمهورية» فى يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٥٧

ترى مــاذا يصنع فى باريس حــاو من أبناء الإسكندرية كــان يعــرض بضـاعتـه الرخـيصـة على الأطفـال ليـحصل فـى كل شـوط علـى بضـعـة ملاليم.

لقـد إكتـسح جلى جلـى كل حـواة باريس والحـواة الأجـانب الذين يفـدون على مـلاعب باريس، وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ العربية فضلا عن كتب الشعوذة الفرنسية.

يقــول جلـى جلى فى هـذا الصــدد: «الرك مش علـى الحــفض الرك عالشغل».

أى أن العلم شىء وتطبيقه شىء آخر، وجلى كغيره من الحـواة المعروفين يخـرج من فـمـه مـائة كـرة ملونة وأعـلامـا لا نهـاية لهـا، ولكنه يفـهم القاعدتين الأسـاسيتين لهذه الصناعة حق الفهم.

السكة والنقلة

السكة بفـتح السـين وعلى وزن الفكة هى أن يـريك الحـاوى يده فـارغـة، حرة، مـرسلة الأصابع بينـما يخفى فى بـاطن كفه الخـاتم أو الكتكوت، أو قطعة النقود، ثم يخرج المخبأ من جيب أحد الوزراء أو من حقيبة إحدى المقبلات.

وبهذه السكة يستولى من الثرى الإنجليزى على الورقة ذات المائة جنيه وهى لعبته الكبرى التى لا يبارى فيها.

وترى جلى يتمرن على إخفاء الأشياء فى كفه تمرينا شاقا متواصلا ولا يسلم على الناس إلا بأطراف أصابعه حتى قيل إنه مغرور أو متكبر، بينما الرجل يمارس مهنته، وقد وصل به هذا المران إلى أنه يخفى البيضة الملساء بين ثنايا كفه وهو يزاول بيده كل عمل من أكل وشرب وتدخين.

أما النقلة فهى عملية خداع للبصر، يريك الحاوى أنه وضع الأرنب فى الصندوق ولكنه يخرجه من القبعة، وجلى لا يلجأ لهذا النوع من اللعب لأنه يحتاج إلى أدوات ومساعدين و«دوشة» كبيرة حسب تعبيره.

كان ربح جلى يصل إلى ألف جنيه فى الشهر وكلها من جيوب الإنجليز.

وكان يعز فى نفسه أن مواطنيه من الطلبة المصريين لا يقيمون له وزنا ولا يرحبون به إذا زارهم فى المقاهى التى إتخذوها مقرا لهم وقد يسمع أحدهم يقول إذا رآه مقبلا:

- الواد إللى إسمه جلى أهوه...

وينفس جلى عما فى صدره إذا خلا بمن يأنس إليه ويقول إن وجوده فى باريس أنفع لمصر من وجود سعد باشا زغلول ومصطفى النحاس.. إنه يعرض على رجالات الدنيا مقدرة المصرى، وذكاء المصرى.. وهل الفن الذى يزاوله إلا إمتداد للفن المصرى القديم: فرعون «توت عنخ آمون» نفرتيتى كل هؤلاء حواة بهروا الناس وخدعوا أبصارهم وخلدوا إسم مصر على مدى الأزمان.

بل كان جلى يتطاول إلى مقام الأنبياء ويقول: إحياء الموتى وشق البحر والدخول فى فم الحوت.. كل هذا براعة فنية أجادها اللاعبون وصدقتها الجماهير.. ثم ينخر ويقول هوه فيه مغفل زى؟.. ويسكت ثم يتنهد بألم ويهز رأسه كمن ينوى القيام بعمل خطير.. يريد الإنتقام من أولاد الذوات الذين يحتقرونه.

عزومة

أكثر الطلبة فى باريس تفرغ جيوبهم فى الأيام العشرة الأولى من كل شهر.

وإذن يتحرى جلى زيارتهم فى الأيام الأخيرة من الشهر فيجدهم عاكفين على لعب الورق أو الطاولة وكل منهم يحاول أن ينتزع من جيب الآخر عشرة فرنكات.

يختار جلى أقلهم جهامة وعنطزة ويجلس بجانبه.. بونجور يامتر.. هو عامر باشا ماجاش النهاردة.

وقبل أن يهرش الفتى فى ذاكرته يقول جلى:

- عندى موعد موعد معاه النهاردة. تشرب إيه يا أخ؟

- دا واجب علينا.

ويصرخ جلى من أم رأسه على الخادم:

- إثنين ويسكى:

هذه الصرخة تعمل عملها.

أحدهم يطوى الجريدة التى كان يقرأها.

وآخران أغلقا الطاولة

إذ كان كلاهما يلعب وهو كاره وبلا رجاء فى الربح.

يحيى جلى هؤلاء وكأنه رآهم فجأة وهم جديرون بالتحية.. أحدهم إبن وزير والثانى شقيق وزير والثالث إبن أحد كبار الملاك.

وما أن يرى منهم البشاشة حتى يترك صاحبه الأول ويقوم فيصافحهم ويجلس بينهم ويصيح مرة أخرى خمسة ويسكى.

ويعيد أبناء الذوات النظر فى قضية جلى.. شاب ناجح رغم أميته.. أنيق الملبس رغم أنه من طبقة الحفاة، وأخيرا كريم وذوق.

ويسأله أحدهم من أنفه: لسه ساكن فى الأوتيل إياه؟

- أيوه يا بيه.. يعنى بتسألوا عنى! ده حرام عليكم.. أنا أخوكم يا ناس.

ثم يصيح ستة ويسكى.

ويشير إلى طالب يجلس بعيدا وحياتك تأخذ معانا كأس.

ثم ينظر فى ساعته ويقول: عامر باشا مش جاى؟ أنا كنت عازمة عالعشا فى مومارتر، فتح هناك كاباريه جديد، صاحبته صديقتى.. أما نقوم إحنا، أنا عازمكم كلكم.

وقبل أن يسمع أى حرف من حروف الإعتذار يطلب ست كؤوس أخرى من الويسكى ويدفع الحساب كله وينهض.

إتفضلوا..

نائمون

يطلق جلى كلمة النائم على كل من يصدق متحدثا أو يصفق لممثل أو يلعب على جواد أو يعقد الأمل فى وصل غانية.. وهذا النوع من النوم يعتبره ضعفا وخيبة.

وها هو من يتبعه عدة شبان من أبناء الذوات وهم نائمون يحلمون بما فى الكاباريه الجديد.

يقف جلى بضيوفه أمام باب المقهى ثم يصيح تاكسى.

ودون أن يلتفت لأحد منهم يصعد إلى التاكسى قبلهم ويجلس.

وهنا يبدأ شعوره باللذة، ها هم يتقدمون نحو السيارة بخطى ثقيلة ومتعثرة ليتناولوا عشاءهم على حساب جلى جلى.. الحافى.. الأمى.

ويكاد كل سائق تاكسى فى باريس يعرف جلى، أو جلى يعرفه ويحفظ إسمه.

- على مومارتر ياجاك! وعند مدام سجالا.. وفى السيارة يظلم وجه جلى ويعقد بين حاجبيه ويلقى بين الفينة والفينة نظرة إحتقار على كتلة اللحم المتكدسة فى السيارة، ثم يحول وجهه نحو النافذة المفتوحة

ويرسل منها بصقة كان يود أن يلقيها على ضيوفه.

وتقف السيارة أمام باب الكباريه ويلقى جلى للسواق أضعاف أجرته، ويسبق ضيوفه إلى الباب ويدخل.

وفى خطى بطيئة متعثرة يتبعونه فيجدونه قد إختار لنفسه مائدة منفردة لا تصلح لأكثر من شخصين.

ثم ينظر إليهم وهم متحيرون فى إختيار الأمكنة ويقول بخشونة: ما تقعدوا.

ينطقها الذى يقول ما تتلحقوا

ويتركهم يختارون الموائد والمقاعد ويختار هو إحدى نجوم الكاباريه ويدعوها للعشاء معه.

ثم يدفع الحساب كله فى خلسة لينهض فجأة ويغادر الكباريه وهم يتبعونه.

وينادى التاكسى مرة أخرى ليركبوا بعده، ويدخل مقهى آخر ليدخلوا بعده وليقوم قبلهم.

وفى نهاية السهرة يختار أخفهم دما على قلبة ويركب معه سيارة يغلق بابها قبل أن يصعد إليها الباقى ويأخذ فى الحديث.

- ولاد الكلب عاملين نفسهم ذوات.. هم لاقيين ياكلوا.. وقال حكما ومحاسبين.. دول صياع.. وأنا هنا أضع النقط مكان كل بخرة تخرج من حلق جلى.

قال له نديمه فى السيارة وقد رآه يبعثر آلاف الفرنكات ولا تزال فى

جيوبة عشرات أخرى.

- وحياتك تسلفنى ميت فرنك لآخر الشهر.

- ماكانش ينعز والنبى.. أنت نازل فين.

ردود

على إبراهيم السيد . إسكندرية محرم بك:

بطاقة المؤلف والملحن لا تدل على أن حاملها من هذه الطائفة.

وتستطيع أن ترسل بواب منزلكم إلى جمعية المؤلفين والملحنين ومعه ١٢٠ قرشا ثمن البطاقة ليعود ببطاقة مؤلف أو ملحن.

وتحصيل الإشتراكات اليوم يعد من أهم الموارد التى تدخل صندوق الإتحاد.

أما مجلس الادارة فليس منتخبا من الأعضاء بل من إختيار شركات الاسطوانات التى تحتكر الثروة الفنية فى مصر.

أكبر عضو فى مجلس الإدارة الحالى لا يتناول من حق الأداء العلنى لإنتاجه أكثر من سبعين قرشا فى كل توزيع.. هذا العضو يتكلم بإسم الذين تبلغ حصة أحدهم ١٥٠ جنيها فى كل توزيع ولا يشترك فى مجلس الإدارة لأن شركات الأسطوانات أسقطته فى الإنتخابات، والإنتخابات كما نعلم وسيلة مشروعة.. لا غبار عليها.

«بيرم التونسى»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٥٧.

الفصل الثاني

حواديت:

حفلة ختان فى باريس



٦ - «الجمهورية»

حواديت

كانت حفلة الختان في إحدى الصالات التي أنشأتها بلدية باريس في أحياء متفرقة ليقيم فيها الشعب حفلات الأعراس والأعياد القومية. وكان في الصالة كل ما يلزم من مسرح وموائد

السموم البيضاء

في مجلة البوليس

«تقديم»

يعود بيرم التونسى فى هذه الحواديت التى كان يكتبها على صفحات «الجمهورية» إلى أيام المنفى فى باريس.. وفى هذه الحلقة يروى قصة حفلة ختان شهدها فى باريس.. ويتناول بالحديث شخصيات الحفل.. الطفل نجم الحفل.. ووالده الذى يحمله على كتفيه حتى يرى الطفل الحفل الذى أقيم من أجله.. والراقصة اليهودية «عزيزة شمس الدين» التى ولدت فى الجزائر وعاشت فى تونس ثم جاءت إلى باريس.. ثم يروى طرفا من حياة الساحر المصرى «جلى جلى» الذى قدمنا طرفا آخر من قصة حياته فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

من خلال الطفل ووالده يقدم بيرم التونسى جانبا من تقاليد حفلات الختان، وقد جرت فى باريس..

أما عزيزة شمس الدين، التى تبرعت بالرقص والغناء فلها قصة يرويها بيرم التونسى، منذ كانت تعيش فى تونس.. وكانت تحترف البغاء.. ويمر عليها ألوان وأصناف من البشر، اختارت أن تروى قصة أحدهم لبيرم، وكان أميرا مصريا مزعوما، جاء إلى بيت الدعارة الذى كانت تعمل فيه وانتقاها.. وذهبت معه إلى حيث يقيم.. ولكن الأمر انتهى بشذوذ مقزز.. وقد اضطررنا إلى حذف السطور الختامية فى هذه القصة.. لأن النفس تعاف ما جاء فيها.. وقد قدمها بيرم لأنها تصلح لدراسة ما يعج به العالم

العربى من ألوان مثيلة لها.. فقصة عزيزة هذه تصلح لمن يدرس الأمراض الجنسية التى يصاب بها المجانين وأصحاب الأمزجة «السوداوية».

ومن قصة عزيزة الراقصة والمطربة اليهودية الجزائرية، ينتقل بيرم التونسى إلى قصة جلى جلى الساحر المصرى.. الذى جاء إلى حفل الختان فى باريس ومعه خطيبته.. وهى «فتاة الزاسية» رائعة الجمال.. ويروى بيرم التونسى كيف تعرف جلى جلى بالفتاة.. وكيف كان بيرم شاهدا على وقائع وأحداث قصة جلى وهذه الفتاة.. وكيف ساعده وشهد أمامها شهادة خير فى حقه.. يرى بيرم أنها شهادة زور يحاسب عليها..

وتمضى السنون ويعود بيرم إلى مصر.. ويلتقى فى الخمسينيات بأحد العائدين من باريس ليسأله عن جلى وامرأته..

ويبدو أن الحال أصبح غير الحال.. فالجميلة أصبحت دميمة: «وشها زى وش الميتين.. وعينيها بائظة.. وخدها مليان دمامل.. وتشرب حشيش بدينها.. واقفة تغسل صحون..»

«حواديت: حفل ختان فى باريس» نشرتها «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧.. ونتابعها معا على الصفحات التالية.



حديث خطير للرئيس

المراسلات السرية بين شارل مالك وآبا إيبان

الجمهورية

"AL GOMHOURIA" 15 JUNE 1957

خطة دلاس التي نفذها المسئولون في الأردن

٣٩ سؤالا يجيب عنها عبد الناصر في أخطر حديث صحفي أدلى به منذ العدوان

يسموني في أمريكا ديكتاتورا.. لأنني أرفض أن أتلقى الأوامر منهم

قال الرئيس جمال عبد الناصر: انهم يسموني ديكتاتورا في أمريكا لأني ارفض ان اتلقى الأوامر منهم وهناك كثير من الطغاة يطيعون وزارة الخارجية الامريكية وليس هناك من يهاجمهم.. ولو انني اطعت الاوامر فسيقول الامريكيون - على الأرجح - انني ديمقراطي طيب! . حكومتنا من الشعب وللشعب وليست حكومة تعمل لحساب دولة اجنبية، نحن لم نتغير، ولكن امريكا هي التي تغيرت لانريد احزابا تحولها الدولارات او الروبلات او الجنيهات الاسترلينية!

موعد إذاعة قوائم المرشحين

الرئيس يجتمع باللجنة التنفيذية حتى الصباح..

تم اعداد قوائم مرشحي الاتحاد القومي في جميع الدوائر الانتخابية وقد عقد الرئيس امس اجتماعا مع اعضاء اللجنة التنفيذية ودام هذا الاجتماع الى ما بعد الساعة الثانية من صباح اليوم.

خطة دلاس التي نفذها المسئولون في الأردن

المؤامرة ليست لاغتيال الملك

المؤامرة لاغتيال الملايين..!!

بقلم: أنور السادات

مصر تتآمر على عرش الملك حسين...!

مصر تتآمر على حياة الملك حسين..!!

مصر تريد اسقاط الملكية في الاردن واقامة جمهورية..!!

مصر ضد الملكيات..!! الملحق العسكري المصري يتآمر..!!

مصر وسوريا تريدان اقتسام الاردن والسيطرة عليه..!!

مصر وسوريا وروسيا يشتركون في مؤامرة ثلاثية ضد الاردن..

المراسلات السرية بين شارل مالك وايبان ص ٤

الشركة المصرية العامة لمهمات السكك الحديدية

"سيماف"

٥٦ شارع الجيزة - الدور الخامس

اعلان

تعلن الشركة عن المناقصات الآتية:

أولا: توريد حوالي مائة طن مسامير برشام ومسامير فلاروظ جلسة ٣٠ يوليه سنة ١٩٥٧ ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من مقر الشركة نظير مبلغ ثلاثة جنيهات بخلاف ٥٠ مليم أجرة البريد.

ثانيا: توريد عدد خفيف كالثاقيب والبراغل وخلافه جلسة ٣١ يوليه سنة ١٩٥٧ ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من مقر الشركة نظير مبلغ ٥٠٠ مليم بخلاف ٥٠ مليم أجرة البريد.

ثالثا: تشغيل قطع حدادة وسبكات صلب خفيفة وقطع مشغولة على الآلات وتشغيل قطع صاج بالاسطمبات جلسة أول أغسطس سنة ١٩٥٧ ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من مقر الشركة نظير مبلغ جنيه واحد بخلاف ٥٠ مليم أجرة البريد.

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧



الصفحة السادسة من «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧

حواديت: حفلة ختان فى باريس

بقلم: بيرم التونسى


بيرم التونسى

كانت حفلة الختان فى إحدى الصالات التى أنشأتها بلدية باريس فى أحياء متفرقة ليقيم فيها الشعب حفلات الأعراس والأعياد القومية.

وكان فى الصالة كل ما يلزم من مسرح وموائد ومقاعد وأدوات الطبخ وغير ذلك، ليت بلديتنا تنشئ مثل هذه الصالات لكى لا تقام حفلات العرس فى المساكن القديمة الضيقة التى تنتهى فى كثير من الأحيان بمأساة يرتفع فيها العويل وتدق أجراس الأسعاف بعد دقات الطبول.

كان فى الحفلة عدة آلاف من العمال المغاربة، بينهم من يحسن العزف على الماندولين والكمنجة بدرجة مقبولة.

ولديهم أغانيهم الوطنية التى إنقرضت فى بلادهم العربية وبقيت معهم فى وطن الغربة.

كانت كوكب الحفلة يهودية جزائرية تطوعت للرقص والغناء.

هذه اليهودية تدعى «عزيزة شمس الدين» ولدت فى الجزائر وعاشت فى تونس، وها هى فى باريس، تخالط مواطنيها العرب والقبائليين.

كانت ضخمة الجسم، ضخامة لا تعاب لأن كل عضو فيها يحتفظ بشكله ولا يطغى على الآخر، ولكن ردفها وحده خرج من النسبة المقررة لمقاييس الجمال.

سمعت أحدهم يقول وهو ينظر إلى ظهرها:

- فى عجيزتها متر مكعب من اللحم، هذه الضخامة نسميها وسامة طاغية كانت تستر صوتها النشاز.

كانت تنشد أغنية، لا أدرى إن كانت تونسية أو طرابلسية أو جزائرية.

أغنية تفسر الحياة الشرقية، وتعرب عما فيها من كبت وتزمت، تأمل هذا الكلام:

«جدام أهلى نلعنك ونسبك وفى وسط جلبى، نعشقك ونحبك».

كان الطفل الذى أقيمت الحفلة لأجله راكباً على كتف أبيه لكى يتمكن من مشاهدة حفلته، أو لكى لا يضيع فى غمرة الزحام، وكان والده يتقبل تمنيات المهنئين بعبارة طريفة.

قلت له- عقبال حفلة زواجه.

فقال: ونت حى، وبهذه العبارة يرد على كل مهنئ، وهى تماماً كقولنا.

- فى حياتك

البرنس المصرى

كانت عزيزة أو شمس ترحب بلقاء كل مصرى لاعتقادها أن كل مصرى يحسن الغناء أو العزف على آلة موسيقية أو التمثيل على المسرح.

وكانت تفتح مجلسها بأحاديث بارعة تحمل السامع على الإصغاء إليها إلى النهاية.

تقول أحدثكم عن قصة عجيبة:

- إستأجرت فى حى البغايا فى تونس غرفة لحسابى الخاص.

أى إنها تحترف مهنة البغاء الحرة ولاتعمل تحت إدارة قهرمانات المواخير وتجار الرقيق.. ثم تمضى فى الحديث عن أحد عملائها، وتصفه وصف قصاص بارع يبرز ألوان أشخاصه وأخلاقهم، كأنه خلقهم.

قالت لى فى جلسة خاصة. وفى فترة استراحة العرض، أحدثك عن برنس مصرى، جاء من بلادكم إلى تونس، وأرسل البوليس المصرى أربعة من رجاله وقبضوا عليه.

تذكرت عندئذأنى قرأت خبر القبض على هذا الأمير فى الصحف المصرية، وكان فى شبه بلاغ رسمى: «أرسلت إدارة الأمن العام أربعة من ضباط البوليس إلى تونس ليتسلموا محتالا عالميا يدعى أنه من العائلة المالكة».

هاتى يا عزيزة!

فإستطردت تقول: كنت أعمل فى دار للبغاء السرى، ودخل هذا الأمير فاستعرض الفتيات وإختارنى من بينهم وطلب منى أن أصحبه الى فندق كلاريدج حيث يقيم.

فقالت القهرمانة: الدفع مقدماً.. وهنا!

فرمى لها الأمير عدة أوراق من ذات المائة فرنك لم تكن تطمع فى مثلها إيراداً لليوم كله.

أما القصة التى فصلتها عزيزة فلم أكن أجرؤ على نشرها فى وقتها، أى منذ ربع قرن.

ولكن هذه الكتب التى تملأ البلاد العربية عن الثقافة الجنسية تغطى قصة عزيزة، بل قصة عزيزة هذه تصلح لمن يدرس الأمراض الجنسية التى يصاب بها المجانين وأصحاب الأمزجة السوداوية.

قالت عزيزة - ركبت معه السيارة فإستوقفها أمام بائع خمور، ونزل منها وخادم المحل يتبعه بعدة زجاجات من الخمور الوطنية والأوروبية ثقيلها وخفيفها.

ثم أوقف السيارة أمام «روتيسيرى» وهو مطعم يبيع الدجاج المشوى واللحوم الباردة والسجق والسلطة الروسية وأشترى منه طعاماً يكفى لعشرة أشخاص ثم أشترى من الحلويات والفاكهة ما يكفى حفلة عرس.

وفى الشقة الفاخرة التى استأجرها فى الفندق جلسنا أمام المائدة من الساعة السادسة مساء الى منتصف الليل.. نشرب ونأكل، ثم نشرب، ثم نأكل حتى لم يبق من الطعام إلا النفر اليسير.. ودارت بنا الأرض.. وزحف كل منا إلى الفراش بكل مشقة.

وتعلق عزيزة بملاحظاتها الخاصة وتقول:

حسبت هذا الرجل ممن يكتفون بالجلوس مع النساء ومسامراتهن ولا شئ أكثر، هؤلاء كثيرون، تعرفهم المحترفات، ولكن أميركم ليس من هذا الصنف كما سنرى.

أيقظنى فى الصباح، فقمت وعلى رأسى مطارق تصدعنى بضرباتها.

وأمرنى بالنزول من الفراش، فنزلت وجلست معه على مائدة الأمس فرأيت عليها برطمان مانيزيا ودورق مياه وكوبين.

أفرغ فى كل كوب ملعقة كبيرة من المانيزيا وصب عليها الماء فاضطربت وفارت، فحمل أحد الكوبين وقال قبل أن يدنيه من فمه - إشربى هذه المانيزيا لتريحك من تخمة الأمس.

قالت عزيزة: فأبيت، فجعل يقسم أنها لذيذة الطعم، فأبيت: فأقسم بأنه سيغضب ويثور. قلت فليكن.

وأخيرا رمى إلى بمائتى فرانك وقال: هذه لك لو شربت المانيزيا.

قالت: وتذوقت هذه المانيزيا على طرف لسانى فوجدتها كماء

فوضعت الأوراق المالية فى يدى وتجرعت الكوب للنهاية والأمير يراقبنى بإهتمام وإرتياح

قالت: وبعد نصف ساعة شعرت بتيار من المغص يتجول فى أحشائى يمنه ويسرة فذهبت إلى دورة المياه وإذا بالمرحاض مغلق ولا مفتاح فيه.

وإلتفت فوجدت الأمير خلفى يضحك ويقول:

ـ المفتاح فى جيبى، إدخلى البانيو ودفعنى قبل أن أقاوم إلى حجرة البانيو وأغلقها بالمفتاح من الخارج.

قالت وإشتد المغض ورجوته بلا فائدة، وشتمته بلا فائدة، وضربت الباب بكل جسم صلب فى الحمام، وهو لا يرد.

وأخيراً أفرغت ما فى أمعائى فى حوض الإستحمام.

وشعرت به يفتح الباب ويدخل متجرداً تماماً ودفعنى الى خارج الحمام بعنف وأغلق على نفسه الباب.

قالت عزيزة: وإرتميت فى الفراش وأنا أدافع ما أشعر به من الخجل والعار، وما هى إلا دقائق حتى رأيت سليل محمد على يدخل على وقد...... «وباقى القصة لايصلح للنشر الأن..»

جلى وعروسته

كانت صالات السينما فى هذا اليوم تعرض فى محلياتها صورة الساحر المصرى وعروسه الفاتنة.

وها هما يدخلان حفلة الختان الجزائرية ويثير دخولهما عاصفة من الهتاف والتصفيق، وها هى الموسيقى المغربية تعود، وتقوم عزيزة وترقص للضيفين.

كيف عرف جلى خطيبته «أ.» هذا حديث يعاد من أوله.

البنت الوحشة

دخل جلى قهوة «سوفليه» مهرولاً تتبعه فتاةإلزاسية ويداها على صدرها مختفيتان فى طوق من الفراء الأسود.

وكانت الساعة نحو العاشرة صباحاً وقلما يفيق جلى من نومه فى مثل هذه الساعة.

نظر فى الأركان التى يجلس فيها الطلبة عادة فلم يجد سوى فهرول نحوى وعلى وجهه إبتسامة رجاء.

- محمود: قوم سلم على وحياة أبوك.. وأكرمنى قدام البنت دى.. زى ما تكرم أخوك من والدك وأطلب لنا حاجة كويسة.. ما تخافشى أنا اللى حادفع.

ثم أشار إلىّ وقال بفرنسيته المحدودة:

- أعظم جورناليست فى مصر.. أعظم بروفسير

وجلس وجلست الفتاة، ونفذت ما قال وأنا أشعر بأنى أساعده على إرتكاب جريمة..

فتاة فى التاسعة عشرة مزيج من الماس الأبيض والياقوت الأحمر، لم تلوث وجهها بشئ من الأصباغ، فوق خديها قطع متجاورات من الورد الأحمر وعلى رأسها قبعة صغيرة من الجوخ الأزرق تغطى جزءاً من

شعرها الذهبى المتماوج.. جداً.. وقد جعلت تتفرس بعينيها الخضراوين فى وجوهنا لتعرف ما يدور من الحديث

قلت لجلى: ناوى لها عالشر يا جلى

. لا والله العظيم أنا عاوز أتجوزها.. وهى كاشة منى.

وألقى فى روعى أنه صادق فقلت ما حضرنى فى الثناء على جلى وشهامته ورجولته.. وهى شهادة زور أحاسب عليها.

ولم يكتف جلى بما قلت فسألنى بالفرنسية عن إخوانه من أبناء البشاوات والوزراء لتزداد به إهتماماً ولكنها ظلت كالجبل الراسخ، وكأنها ملت الكلام وتريد الإنصراف.

فقال جلى بالعربى: شايف بنت الكلب حاتموتنى

أحبها لأنها لم تتبعه كغيرها.. ولم يسحرها بفنه كما سحر الأخريات.

وقد اساء قيادتها، فأخذها يوم عرفها الى فندقه الذى قلت عنه قبل هذه المرة أنه أقذر فندق فى العالم.

فرأت غرفة نومه التى لا يرضاها آدمى يشعربإنسانيته، ورأت زبائن المقهى الذى يملكه، أكثرهم من الأشرار والكسالى المتعطلين، وفى هذا الجو القاتم عرض عليها الزواج.

نهضت الفتاة وكأنها لا تريد مزيداً من المعلومات، ونظر إليها جلى بمذلة ثم إنفجر باكياً وكأنه يتأبط دموعه ويجدها وقت ما يريد

ورفعت بصرى إلى الفتاة الواقفة وإذا بها تبكى مثله ولكن بكاءها صادق.

فقلت لجلى: أبشر

وها هو يتأبط معصمها فى الحفلة.

منذ عامين قابلت أحد القادمين من باريس وسألته عن جلى وامرأته، فقال:

- مراته مين؟.. المرة الوحشة دى؟.. دى كرب.. دى وباء.

وإستمر فى الوصف

وشها زى وش الميتين، وعينيها بائظة.. وخدها مليان دمامل.. وتشرب حشيش بدينها.. واقفة تغسل صحون.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله

« بيرم التونسى»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧

الفصل الثالث

حواديت:

ريفية فى باريس



«تقديم»

فى هذا الفصل يواصل بيرم التونسى حواديته من باريس.. وهو فى هذه المرة ينتقى عددا من شخصيات المجتمع الباريسى ليقدمها من خلال صديقه عثمان، الذى جاء الى باريس ليدرس فلم يقرب الدراسة.. وتفرغ لملاحقة نسائها.. وقبل أن يصل باريس الثرى صاحب الستمائة فدان كما يقول هو الى بيرم التونسى، يجد مجموعة من الشباب ذاهبة الى إيطاليا.. فيعدل عن الذهاب الى فرنسا.. ويتوجه معهم إلى إيطاليا.. ليمضى فيها شهورا ينفق ما زوده به أبوه من نقود ليعيش بها سنة كاملة فى باريس.. ويجد المخرج مما أوقع نفسه فيه بالكذب على أبيه.. ويوهمه أن الباخرة كادت تغرق به وهو فى طريقه الى فرنسا.. وانهم أنقذوه أمام الساحل الايطالى.. وهو فى إيطاليا تحت العلاج.. وفى حاجة الى نقود.. وهكذا ينتحل المعاذير ويختلق القصص مرة بعد أخرى ليحصل على المال من أبيه.. وهو مع ذلك غير راض عما يرسله أبوه.. ويخترع المزيد من القصص من أجل المزيد من النقود.

فى باريس يجرى عثمان وراء نسائها.. يقع فى المرة الأولى ضحية من تخدعه.. وتوهمها أنها من سيدات المجتمع الراقى فى سان جارمان «الضاحية التى يسكنها النبلاء».. وبعد أن تستطيع أن تحتال

عليه بقصة مختلقة ليمنحها معظم ما معه من نقود.. يكتشف بعد يوم أنها تقف مرة أخرى فى نفس المكان الذى التقاها فيه بالأمس لتكرر نفس اللعبة.

ويقع عثمان مرة أخرى فى شرك سمراء.. لا يلبث أن يدعوها إلى العشاء.. ثم إذا بها قد رتبت الأمر مع صديقها الروسى الأبيض.. الذى يهبط على مائدتها ويدعو نفسه معها على عشاء فاخر.. ثم يتسلل الإثنان واحدا بعد الآخر ويعدان بالعودة.. ولا يعودان.. وعثمان جالس ينتظر حتى يكتشف أنه كان «مغفلا» وقع فى شراك امرأة وصديقها وقد رتبا اللعبة ليتناولا العشاء على حساب أحد المغفلين.. أما بيرم فيعطى صورة لصاحبة الفندق الذى يقيم به.. فاذا هى سيدة متجهمة حادة الملامح أو جادة الملامح.. ولكنها بعد انتهاء عملها يعثر عليها فى حى البيجال، حى المولان روج والملاهى الرخيصة والمحترفات المتواضعات.. تقف «السيدة الموقرة» لتمارس أقدم مهنة فى التاريخ.. «وقد شمرت عن ساقيها فى ثوب قصير يصعد إلى ما فوق ساقيها العاريتين، وقدماها فى حذاء أحمر قان..»

«حواديت: ريفيه فى باريس» بقلم بيرم التونسى.. نشرتها «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧ ونتابعها معا على الصفحات التالية.



نحن مساومة أمريكا

الإفراج عن دولاراتنا لن يكون على حساب اللاجئين

الجمهورية

"AL GOMHOURIA" 22 JUNE 1957

عالم الآثار سامي جبره يروى قصته مع المهرب الأمريكي

مصر رفضت هذا العرض الأمريكي

الإفراج عن الدولارات المجمدة... مقابل تسوية مشكلة اللاجئين لصالح إسرائيل

بقلم: أنور السادات

تناول أنور السادات في هذا التحقيق السياسي ما يجري في البلاد العربية هذه الأيام من مناورات ومؤامرات، أجاب عن سؤال رجل الشارع في مصر أين نحن الآن من العرب؟

تنفيذ قانون العمد الجديد

المتهم يحاكم أمام محكمتين

مرة عن السرقة والأخرى عن التهريب

تطور التحقيق في حادث تهريب الآثار المصرية تطورا خطيرا.. أمرت النيابة بتفتيش منزل العالم الأثري سامي جبره ومنزل مفتش الآثار شفيق فريد

موسكو تتهم الغرب

بمحاولة تجريد مصر من السلاح وتتهم أمريكا بتشجيع العدوان على مصر

أكد راديو موسكو الأنباء التي رددتها المصادر الغربية بأن الاتحاد السوفيتي باع ثلاث غواصات لمصر.

بيان الرئيس في مجلس الأمة

إسرائيل تطلب أسلحة من الغرب

بيريز يجتمع بقائد جيش إسرائيل

سفن روسية أخرى تعبر البوسفور والدردنيل وتدخل البحر الأبيض المتوسط

عبرت وحدات بحرية روسية أخرى أمس مضيق البوسفور والدردنيل ودخلت البحر الأبيض المتوسط لتنضم إلى الوحدات التي عبرت أمس الأول.

انتدابات المدرسين إلى المملكة السعودية

أمريكا تثير مشكلة الغواصات أمام الأمم المتحدة

فرنسا تدرس مشروعا لنقل قواتها من تونس إلى الجزائر وإغلاق الحدود بين القطرين الشقيقين

محكمة عسكرية بالخرطوم لمحاكمة الضباط المتهمين بتدبير الانقلاب

صحيفة فرنسية تؤكد وساطة أمريكا بين بعض الدول العربية وبين إسرائيل

نشرت صحيفة «كومبا» الفرنسية صباح أمس في صفحتها الأولى أنباء المفاوضات بين إسرائيل وبعض الدول العربية، وأكدت أن الولايات المتحدة تقوم بدور الوسيط فيها.

الملك حسين

الصفحة الأولى من «الجمهورية» في يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧

حواديت

ربيعة في باريس

بقلم : بيرم التونسي



من الأدب القديم

المقامة الجوربية

والشيخ نوح

والشيخ سهاب

الشيخ عثمان

والشيخ سلمان

ردود..

الأغاني..

في كل سهرة ...
تجتمع الأسرة ...



حول.. التحرير

الصفحة السادسة من «الجمهورية» في يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧

حواديت:

ريفية في باريس

بقلم: بيرم التونسي



بيرم التونسى

رآها عثمان فى اليوم الرابع من شهر مارس.

عثمان بكسر العين لقبه المعروف به بين الطلبة.

رآها واقفة أمام أحد أبواب «لابرينتان» وهو المتجر الهائل الذى يقع فى جران بولفار، أكبر شوارع باريس التجارية، كانت تحمل عدة لفائف مختلفة الأحجام والأشكال من علبة مستديرة، وصندوق مربع ولفافة مستطيلة.

سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها، نصفها الأعلى محبوك فى جاكتة داكنة تضغط على خصرها وتبرز صدرها وردفها، ولا يظهر منها غير كتفيها، وجزء قليل من ظهرها، وحوض صدرها.. على رأسها قبعة بسيطة يخترقها سهم مستطيل من الباغة كريشة الطائر الأنيق.

كانت تتبع بنظرها سيارات التاكسى، وكلما همت بنداء سيارة، وجدتها مشغولة، فتضغط على شفتها بأسف، وإستجمع عثمان كل شجاعته وتقدم إليها وقال:

- تاكسى؟

فإبتسمت فى أرستقراطية، وقالت بصوت منغم:

- أنت لطيف جداً.

فسارع عثمان، وإنتزع من يديها اللفافات الواحدة بعد الأخرى إلى أن قالت:

- حسبك هذا..

ثم نظرت فى ساعتها، وهى تسير معه على الرصيف وقالت:

- أخشى أن يفوتنى قطار سان جارمان.

سـان جـارمـان!!! إسـم مـهـيب بمـلأ الأسـمـاع.. إسـم الضـاحـيـة التى يسكنهـا النبـلاء، وفيهـا الغابة الطبيعية التى تحنو أشـجـارها منذ مئات السنين على طلاب الخلوة.. مرحبا بك أيتها السانجارمانية.

نظر عثمان أيضا فى ساعته، وقال وهو يميل إلى أول بار:

- كل سـاعـة يوجد قطار لسـان جـارمـان، فلنشـرب شـيـئـا قـبل سـفـرك بسلامة الله.. الساعة لا تزال الحادية عشرة.. وتبعته فى تردد مثير.

وسبقها إلى كنبة مستطيلة، ووضع حمله، وأخذ منها الباقى، وتركها تجلس فى أقصى الكنبة بينه وبين الحائط، كأنما يخشى هـروبها وقال للخادم الواقف على منصة البار.

.. واثنين كيرش.

وهذا شراب يناسب المقام يضعه المترفون على سلطة الفواكه المؤلفة من قطع التفاح والكمثرى والشمام، أو يشربه الذين يريدون تمزيق برقع الخجل.

واستجمع عثمان كل ما لديه من ظرف ولباقة، وتناول من المغلفات علبة كبيرة مستديرة وقال:

- أراهن أن فيها قبعة..

وأشـار إلى بقـيـة الطرود وقـال - وفى هذه العلبـة حذاء وهذه زجـاجـة كولونيا وهذه.. وهذه.. كانت تصغى إليه وتبتسم، وأخيرا قالت:

ـ يالك من فضولى ظريف..

وصاح عثمان لصاحب البار:

ـ .. واثنين كيرش

وهمست الحسناء فى أذن عثمان وقالت بلهجة الجادة المتوسلة:

ـ زوجى ينتظرنى على المائدة فى الساعة الواحدة تماما، فما العمل؟ وكما عرف عثمان محتويات الطرود، أراد أن يعرف صناعة زوجها وإسمه وعمره وماهيته..

فقالت الحسناء: زوجى رجل ذو شأن، يدير مصنعا لمنتجات الجلود، حقائب السيدات والمسافرين، وتوجد منتجاته فى جميع المتاجر فى باريس ومدن فرنسا.. مسكين لا يجد وقتا للراحة، عمال وعاملات، وكتاب وكاتبات، إنى مشفقة عليه وأتحرى راحته وسعادته.

وأطلق عثمان لخياله العنان، الرجل الذى يمون المتاجر الفرنسية بالمصنوعات الجلدية لابد أنه تجاوز الخمسين، وهذا النوع من أصحاب الأعمال قلما يجدون وقتا لإسعاد زوجاتهم. وها نحن نرى قصصهم على شاشة السينما، وسان جرمان التى تسكنها هذه الحسناء، قرية هادئة . مقفلة على سكانها، وأهلها يعرف بعضهم بعضا.. ولو تناغى عصفوران على غصن من أشجارها، لكان ذلك حديث القرية كلها، ومن المحال أن تزور هذه الحسناء مدينة باريس الصاخبة وتغادرها قبل أن تستمتع بمباهجها وها هى وجدت مشتهاها.. إنها كغيرها من بنات فرنسا تستجيب بسرعة إلىَ الشاب الشرقى ذى الوجه الأسمر

المستطيل، والعينين الضيقتين، والأنف البارز الغليظ، والشعر الأكرت الخشن، والشفتين السوداوين الغليظتين، كل هذا متوفر فيك يا عثمان.

دارت هذه الخواطر فى رأس عثمان بسرعة البرق فقام إلى البارمان، وأسر إليه حديثا أحنى له رأسه بالإيجاب.

وعاد إلى الحسناء وقال:

ـ الغداء هنا وفى الدور الأعلى.

ـ هذا مستحيل، أترك الغداء للخميس القادم، أنا فى كل خميس، أزور باريس، قالت هذا وإستلمت الكأس التالى وأخذت حقيبتها وقامت، فإحتضن عثمان اللفافات كلها وسبقها إلى خارج البار.

ثم قال وهو يدخل باب العمارة الملاصق لباب البار ـ إتبعينى.

العمارة كلها مؤلفة من حجرات مفروشة يسكنها العزاب والأزواج.. ويملكها صاحب البار وقد خصص منها غرفة فى الدور الأول للزيارات المؤقتة.

مثل هذه الغرفة موجودة فى أكثر فنادق باريس يعرفها عثمان وغير عثمان، قالت وهى تصعد خلفه فى أى دور تسكن؟

ـ الدور الأول..

حانت الساعة الخامسة، وأصرت السيدة على الإنصراف وهى شبه غضبى وسمح لها عثمان بالإنصراف وهو شبه غاضب.

ثم قالت السيدة وهى تبحث عن حقيبتها:

- يا للكارثة..

- ماذا جرى؟

- كلفنى زوجى أن أشترى له من باريس علبة سجاير هافانا، وها أنا أنفقت كل ما معى على حاجياتى الخاصة.. يا لى من غبية، ماذا أصنع؟ ماذا أقول؟

فقال عثمان ببساطة - بكم علبة السيجار؟

قالت وكأنما تستحى أن تقول غالية.. بخمسماية فرانك فيها خمسون سيجارا.. له مثلها فى كل أسبوع.. ولا توجد عند دخاخنية سان جارمان.. دبرنى للمصيبة..

أخرج عثمان محفظته، وقبض على كل ما فيها من أوراق وعدها ثم قال:

- لحسن حظى يوجد معى سبعماية فرانك هاك الخمسماية فرانك.. لا تتحيرى..

- شكرا، سأردها لك فى الخميس القادم.

فى اليوم التالى ذهب عثمان إلى شارع «الجران بولفار» ليأنس بذكريات الأمس السعيد، فوجد ساكنة سان جارمان واقفة أمام محل «لابرينتان» ومعها لفائفها لم تنقص منها واحدة.

فأدرك أنه كان ضحية امرأة تجيد التمثيل والإخراج.. والمرأة الفرنسية لا تضيع دقيقة من وقتها فى فراغ.

فالمربية التى تدفع أمامها مركبة الطفل فى حدائق التلليرى لها فى كل كل ركن من هذه الحديقة الهائلة صديق من أثرياء الشيوخ الذين يلتمسون الدفء فى حدائق الملوك، لكن منهم يوم وكل منهم يعرف أنه صديقها المفضل وينفق عليها بسخاء.

ومن هؤلاء الممثلات صاحبة الفندق الذى أسكنه فى الحى اللاتينى وفندقها هذا من الدرجة الثالثة الذى يسكنه العمال ويدفعون الأجر فى كل أسبوع.

وللفندق بابان أحدهما فى الشارع تغلقه فى أكثر الأوقات، والآخر داخل البار الذى تديره مع الفندق، وهو الذى تفتحه لتتمكن من مراقبة الداخلين والخارجين، ولا تغلقه إلا عندما تأوى إلى فراشها.

إمرأة صارخة الملامح ذات شعر أحمر خشن وشفتين دقيقتين، تدلان على القسوة وبرود العاطفة، تقف على منصة البار مشمرة عابسة الوجه تصب الشراب للعملاء بكبرياء وتأخذ النقود بلا كلمة شكر، وتغسل الأكواب بتقزز وإشمئزاز، وهكذا تظل إلى أن يستيقظ زوجها ويتسلم نوبته فى العمل وتختفى هى من الحى كله.

كنت فى الدخول والخروج أطلب كوبا من القهوة لتخفف من نظرات الإحتقار التى توجهها لى وإلى المقيمين فى فندقها.

سألتنى مرة وأنا أشرب قهوة الصباح.

ـ المرأة الغليظة التى خرجت الآن.. كانت عندك؟

ـ لا.. أى إمرأة؟

فقالت وهى تهز رأسها مهددة ـ سوف أعرف الخنزير الذى كانت عنده فى هذه الليلة.

رأيت هذه السيدة الموقرة فى حى «البيجال» حى المولان روج والملاهى الرخيصة والمحترفات المتواضعات.. كانت تتبختر فى ثوب قصير يصعد إلى ما فوق ساقيها العاريتين وقدماها فى حذاء أحمر قان.. وحقيبة أيضا حمراء معلقة فى يدها تطوحها فى الهواءإستوقفت طالبا صينيا، كما تستوقف بنات هذا الحى عابرى السبيل، ولم يطل الحديث بينهما حتى تأبط معصمها وساراا إلى حيث..

غباوة عثمان

ليس الحى اللاتينى من أحياء الدرجة الأولى فى باريس ولكنه أكثرها متعة وبهجة.

فيه تسمع كل اللغات وتستعرض ملامح جميع البشر، وقسمات وجوههم، التى تميز كل جنس عن الآخر ولا تتسنى لك هذه المشاهدات، إلا بالطواف حول الكرة الأرضية.

كنت أمشى على مهلى فى شارع سان ميشيل، الشارع الرئيسى لهذا

الحى، وإذا بعثمان المذكور آنفا يضع يده على كتفى ويحيى:

- على فين

- على مونبرناس

- خذنى معاك

وعثمان كآدمى يبغضه طوب الأرض.

كان يتكلف الحملقة والرقاعة ليكبر ويرتفع ولكنه يصغر ويسفل. كان إذا جلس فى أحد المقاهى صرخ وصفق حتى يقف له العامل الذى يحمل صنيتين مزدحمتين بطلبات الناس.

ويدير عثمان وجهه إلى زميل له ويسأل بتأن:

- أشرب إيه؟ آخذ إيه؟ بيرة ولا كازوزة؟ كازوزة إيه؟ أطلب عشا؟ مش جعان.. إسمع! إعطنى واحد سينزانو.

- حاضر يا سيدى

وما أن يسير الخادم خطوات، حتى يناديه مرة أخرى.

ويعود الرجل، فيقول عثمان: لا تضع الثلج فى الكأس.

- وهو كذلك يا سيدى.

ولا يكاد يبتعد حتى يقف عثمان ويناديه بإلحاح كأنه يتحاشى كارثه..

ويعود المسكين بحمله الثقيل، فيقول عثمان:

ـ أقصد أنك تضع الثلج فى صحن على حدة..

سألنى عثمان ونحن فى الطريق:

ـ حاتصعد فين فى مونبارناس؟

ـ فى الكوبول

ـ وأنا معاك

وأشار عثمان إلى فتاة تسير وحدها متسكعة تتصفح وجوه العابرين بعينين غمشاوين.

ـ شوف دى! ماشية تنقى وتختار.. ودى صاحبة مزاج.. أنا أحب الصنف ده.. عن إذنك.

وفى خطوات حاذاها وألقى عليها التحية..

فنظرت إليه من أعلا إلى أسفل، وقالت لست من بنات الأرصفة، أيها السيد.

هذا الترفع يشعل النار فى قلب عثمان ويزيده تصميما على الظفر بفريسته.

ـ قال: ولو عرفت أنك من هؤلاء ما كلمتك.. أنت طالبه؟

الفتاة سمراء كأنها من والدين أحدهما مارتينيكى، عجفاء هزيلة

كـأنهـا لـم تتناول الطعـام عـدة أيام.. تـختـبئ فى مطعم قـديم واسع.. ويلتوى حذاؤها تحت قدميها فردة بعد فردة.. ليست أكثر من خادم عند عائلة بورجوازية فقيرة، وها هو أحد الأغنياء يلقى عليها سؤالا محرجا، فقالت له فى غضب:

- وما شأنك أنت؟

فمال نحوى ومش ورائى، وقال مش حاسيب البنت دى.

فقلت له: حاول.

وأسرعت الخطى إلى مقهى الكوبول لأدرك طبق المحار قبل أن ينفذ. هل تعرف المحار؟ يسميه الإسكندريون «مبديا» وهو أسود الغلاف ويوجد بكثرة فى سواحل فرنسا..

ويقدمه مقهى الكوبول شوربة بيضاء لذيذة المذاق وبثمن رخيص، وقلما تجد فى الكوبول مائدة فارغة قبل أن تمشى فى مسافات طويلة بين المقاعد وفى مقهى لا تقل مساحته عن فدانين.

وبعون الله: وجدت المائدة وجاء طبق الحساء، وإذا بعثمان وصديقته مقبلين.

- أهلا وسهلا

- إنتصرنا يا سيدى

تزحزحت إلى طرف المائدة وجلس عثمان بجانبى ليحول بينى وبين

غنيمته.. ثم تناول بطاقة الطعام وقدمها إليها، طلبت الفتاة الطبق الإنجليزى، وأعجب عثمان بإختيارها وطلب لنفسه طبقا مع زجاجة كبيرة من نبيذ بوردو.

وقبل أن تحضر الأطباق، مال نحوى وقال: خلى بالك دى مش من إياهم.. وفجأة وقفت الفتاة وأخذت تنادى - ديمتريوف.. ديمتريوف.. وأقبل فتى طويل القامة ضخم الجسم له وجه طفل، فقالت وهى تصافحه بحرارة وتقدم له الكرسى.

- إنتظرتك بجانب المترو وأمام السينما وفى محل الإسطوانات وفى كل مكان أين أنت؟

ثم قالت لعثمان:

أقدم لك هذا الصديق الظريف.. إنه من الروس البيض، أحذركم.. عمره ١٧سنة، ولايزال فى المدرسة، وكانت حفظت إسم عثمان فى الطريق فقالت للطفل الروسى - صديقنا الموسيو أوتومان، فقام الروسى وصافح عثمان بحرارة شرقية لا يستهان بها.

وجاء الخادم بالطعام الشهى، فقالت العجفاء لديمتريوف - إتعشى معنا.. وناولته بطاقة الطعام، وكأنما تدرب الإثنان قبل اليوم على إستغلال مثل هذه الفرصة، فقال للجرسون بصوت خفيض: فرخة وإسباجيتى.

وعكفت الفتاة على الصحن الإنجليزى تختطف منه بالشوكة قطع

الخنزير والكفتة بنهم مخجل.

وأراد الغـلام الروسى أن يخـفف من صـفـاقـتـه فـى طلب الدجـاج والإسباجيتى فقال لعثمان:

ـ أنا رأيتكم قبل اليوم على سلم السربون.. أليس كذلك..

فقـال عثـمـان وهو يعـالج قطعـة مـرتديلا تتـزحلق من تحت الشـوكة وتأبى السكين أن تقطع غـلافـهـا الجـلدى.. طظ يا سـيـدى فـيك وفى السربون.. قالها بالعربى ثم إلتفت إلىّ وقال:

ـ المصيبة دى كانت فين.

وجاءت الدجاجة وصينيـة الإسبـاجيتى المعدنيـة المستطيلة وبجـانبها وعاء الصلصة والجبن المبشور.

وقبل أن يذهب الجرسون قال ديمتريوف:

ـ زجاجة بيرة أستوت.

لم تدرك الصبيـة العجفاء العبيثه ما طرأ على وجه عثمان من الكآبة فأخذت تحدثه عن الروس البيض، وما يقاسونه فى الغربة، خاصة هذا الفـتى الطيب ديمـتـريوف. ويشـربون ويهـز عـثـمـان رأسـه، ويقـول: ينعل أبوكى على أبوه.

كان ديمـتـريوف يلتـهم آخـر خـيط فى الإسـبـاجـيـتى بعـد أن أتى على الدجاجة وحضر خادم المقهى فطلب بصوته الخفيض طبقا من التفاح.

حملت الفتاة حقيبتها الحرباء، وقامت إلى مكان التواليت وهو فى أقصى المقهى بعد أن قالت سأعود، وبعد أن إلتهم ديمتريوف التفاحة نظر إلى أحد العابرين وفرقع بأصابعه ليناديه.. وقام وهو يقول - عن أذنكم أنا راجع.

عثمان وأبوه

مرت ساعة كاملة وعثمان ينتظر صاحبته بلا فائدة، وأدرك أنها رضيت بصحبته إلى أن تعثر على صديقها اليافع الفحل، وقد إختفى الإثنان بعد أن تناولا الطعام الشهى.

دقت الساعة الواحدة وإبتدأ الخارجون من الملاهى يردون على الكوبول فرادا وجماعات، وأكثرهم بملابس السهرة مستعدين للرقص فى مرقص الزنج الواقع تحت المقهى.

ومما لفت أنظار الناس أن بعض «سيدات المجتمع» الفرنسى كانت تدخل وذراعها فى ذراع زنجى صومالى يرتدى السموكن والياقة البيضاء العالية وقبعة السفراء السوداء، وهو الذى يرقص معها «الرومبا» التى ظهرت حديثا.. بعضهن تفرد لهذا الراقص حجرة فى مسكنها الخاص تحت بصر زوجها.

أطرق عثمان برهة ثم ضرب المائدة بقبضة يده وقال:

- أنا عايز أضرب أبويا بالرصاص، عايز أسمه بالزرنيخ، تصور رجل

عنده ستميت فدان ويبعت لى أربعين جنيه كل شهر، وانا وحيده اللى ما عندوش غيرى؟

وأخذ عثمان يصف أباه ويروى ما أنزله بالرجل المسكين من النكايات لمجرد أنه أبوه، يصف شكل والده فيقول إنه لا يزال بالزعبوط الأسود والعمة المزهرة والبلغة الصفراء.

ويصف عقله فيقول:

- تعرف حكاية المركز الحرج؟ رجل مثل أبى، أرسل ولده إلى إنجلترا ليتعلم، وأبطأ عليه فى إرسال مرتبه فبعث إليه برقية يقول فيها «أنا فى مركز حرج» فقال الوالد: طيب مش كان يقول المركز الحرج فى أنهى مديرية.. أبى من هذا الطراز.. ولولا أن أمى تسعفنى من وقت لآخر بالنقود ما استطعت أن أعيش هنا.. ويضحك عثمان من أعماق قلبه ويقول:

- احكى لك على أول مقلب عملته فى الراجل ده.

أرسلنى إلى فرنسا، لا لأتعلم، ولكن ليخلص من شقاوتى كما يزعم، وشاءت غباوته أن يضع فى يدى أربعمائة جنيه لنفقة سنة كاملة.

ولكنى فى الإسكندرية وجدت بعض الشبان ذاهبين إلى إيطاليا، فتركت البواخر الفرنسية، وأخذت التأشيرة على جواز سفرى من القنصلية الإيطالية وبعد أيام كنا فى نابولى.

فرنسا مين وزفت مين، دى إيطاليا يا أستاذ فيها متع.. أكل بتراب الفلوس وبنات صحاب مزاج!

ضيعت متين جنيه فى عشرين يوم وكتبت له جواب أقول له فيه أن الباخرة غرقت فى خليج صقلية وأنقذتنى قوارب الإنقاذ إلى الساحل الإيطالى وغرق كل شىء حتى ملابسى، وأنا الآن فى المستشفى أنتظر عطفكم.

وعنها تسلمت ٤٠٠ جنيه أخرى، ومائة من الوالدة الكريمة، أطال الله عمرها، وقضيت ثلاثة شهور فى إيطاليا، شهرين فى روما ويا قلبى على بنات روما.. السمرة الخمرية الجذابة والجسم المكتنز، وأمامك دمجانة الكباتشى والإسباجيتى اللى على أصلها، وشهر فى فلورنسا «ويضرب بكفه جبهته الضيقة ويقول» كيلو الكريز الأسود بقرشين الخوخة اللى تتباع هنا بعشرة فرنك هناك بقرش.. جيت فرنسا غصب عنى.. وبعت للراجل أقول له خلاص أنا طيب بخير وحادرس العلوم السياسية يعنى حاطلع لك قنصل أو سفير، شد حيلك تعرف بعت لى كام؟ ميت جنيه.

والذى عرفته عن عثمان أنه لم يقترب من أى مدرسة وقد مضى عليه أكثر من عامين بفرنسا وجل همه البحث عن صاحبة مزاج تريد الرجل للرجل والحب للحب، فلا يعثر إلا على مثل حاملة اللفافات أو صديقة ديمتريوف، فيرسل اللعنات الصاعقات لا على فرنسا.. ولكن على أبيه المسكين.

«بيرم التونسى»

● نشرت فى «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧

الفصل الرابع

حواديت:

قدور بن غبريت وحكايات أخرى



٦ - «الجمهورية»

حواديت

المقامة البرطانية

العربى المسلم الذى قرأ عنه الفرنسيين من انسان الاسكيموزنجى الصومال والكاميرون.

منذ أكثر من مائة عام خالطوا العربى مخالطة الناصب والسارق ولم يتكلفوا معرفة أصله وتاريخه وثقافته رغم وجود الكتب التى ألفها علماء فرنسا عن التمدن العربى الاسلامى

«تقديم»

فى هذا الفصل من حواديته يروى بيرم التونسى حكاية تدور أحداثها خلال منفاه فى كل من تونس وباريس.. وفى الحكاية شخصيتين محوريتين أولهما شخصية قدور بن غبريت.. والثانية هى مطوف جاء فى زيارته السنوية من مكة إلى تونس كعادة المطوفين بعد انتهاء موسم الحج.. ولكنه «استمر فى الإقامة فى تونس الخضراء، وأحبه القوم لأنه كان ظريفاً، ومن أبناء النكتة».

أما بن غبريت بطل حكاية بيرم التونسى فى هذا الفصل من الكتاب فهو قد كان «بوابا فى قنصلية فرنسا فى مدينة تلمسان التى تقع بين الجزائر ومراكش».. وعمل لدى امرأة القنصل فى أعمال البيت والذهاب بالأطفال إلى المدرسة.. ولكن طموحه أوصله إلى ما أصبح عليه.. فقد انتقل القنصل بعائلته إلى باريس.. واصطحبه معه، وعاونته زوجة القنصل على إتقان اللغة الفرنسية قراءة وكتابة بعد أن أتقنها حديثاً ونطقاً.. ثم كان أن قدمه القنصل كعالم من علماء المسلمين بينما كل معارفه الدينية لاتزيد على أسماء الأئمة الأربعة ومواقع قبورهم.

ولكن بن غبريت ابتكر شيئاً جديداً.. فقد حصل على قطعة أرض لإنشاء جامع.. وتجول فى العالم العربى والإسلامى ليجمع التبرعات لبنائه.. وقد أضاف إليه مطعماً شرقيا وحماماً ومعرضا لبيع المصنوعات الشرقية.. وكانت هذه هى فوائد الجامع.. أما الصلاة فلم تكن تقام فيه إلا فى عيدى الفطر والأضحى «وبقية الأيام لاترى فيه غير السواح الأجانب والشرقيين وكان الزحام كله فى المطعم والحمام والمعرض».

وتعرف بن غبريت على المطوف.. وأصبح المطوف شريكه ومساعده في إدارة مشروعه.. الذى لم يكن فوق مستوى الشبهات.. برغم وجود المسجد في إطاره..

ويروى بيرم التونسى طرائف عن الحصول على الدكتوراة من جامعة السوربون، ويقول: لكى تضمن النجاح في السوربون تخير موضوعاً ترتاح إليه نفوس الأساتذة الممتحنين، قل عن نافع بن الأزرق، الذى كان يناكف عبدالله بن عباس ويسأله عن ألفاظ الغزل ومعانيه، إنه أول رجل وضع قواعد البحث الحر في الإسلام.. أما كتابة الرسالة بالفرنسية فليست مشكلة.. فحول السوربون ينتشر الكُتَّاب.. مثل العرضحالجية قديماً حول المصالح الحكومية.. ومهمتهم صياغة «فكر» صاحب «الرسالة» في «قالب علمى» وبأسلوب يليق بكتابة الرسائل العلمية وبأجر بسيط.

ويضيف بيرم التونسى: «سيقول أساتذة السوربون: إنك زودت الثقافة العامة بمعلومات جديدة وسلطت أشعة أنوارك على أركان كانت مظلمة..».

ويبدو أن موضوع مثل هذه الرسائل الجامعية للدكتوراة والماجستير قديم ومتواصل.. وما نسمعه عن الدكاترة الذين يسافرون لأسبوع ويعودون وهم يحملون ما يسمونه «دكتوراة»، أمر متواصل منذ القدم.. وكثر هذه الأيام.. وفى حكايته ينتقل بيرم التونسى إلى حصول ابن غبريت على الدكتوراة ـ بهذا الأسلوب بطبيعة الحال ـ ثم يشير إلى رسائل الدكتوراة للدكتور زكى مبارك، الذى كان يسمى نفسه الدكاترة زكى مبارك، لحرصه على الحصول على الدكتوراة من السوربون إضافة إلى الدكتوراة من الجامعة المصرية.. ويقول إنه «أتعب أساتذة السوربون وأتعبوه حتى أقام في باريس أكثر مما كان يظن، وأنفق على نفسه فوق طاقته».

فى حواديت هذا الفصل حكاية أخرى فرعية عن الفنان المصرى القديم عزيز عيد والفنانة فاطمة رشدى وارتباطهما ببيرم التونسى وصديقه إدمون تويما وقيام بيرم بكتابة المسرحيات زجلاً، أخذا عن مسرحيات مترجمة.. ويروى كيف كان عزيز عيد وفاطمة رشدى ينتحلان الأسباب ليهربا من سداد مستحقاتهما عن كتابة هذه المسرحيات.

«حواديت بيرم التوسى: قدورة بن غبريت وحكايات أخرى».. نشرتها «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٩ يونيو ١٩٥٧ ونتابعها معا على الصفحات التالية.



أمريكية لمساومة اللاجئين

تطلب شراء قطن مصرى بأربعة ملايين من الجنيهات

الجمهورية

"AL GOMHOURIA" 29 JUNE 1957

صفقة الغواصات الجديدة .. وهل هى جديدة ..؟

لماذا تتسلح مصر ....

هل تريد محاربة الغرب ؟
هل تريد الهجوم على إسرائيل ؟

فى هذا التحقيق السياسى يذيع أنور السادات لاول مرة أسرار صفقة الغواصات الثلاث التى اشترتها مصر من الاتحاد السوفييتى . كيف تمت ولماذا تمت هذه الصفقة ؟

وفى هذا التحقيق يذيع أنور السادات لاول مرة حقيقة موقف أمريكا من تسليح مصر وكيف ارادت ان تجعل ثمن مدنا بالسلاح هو الصلح مع اسرائيل .. ثم كيف حاولت امريكا ان تخدعنا حتى لا نتسلح ... وكيف استمرت هذه المحاولة ثلاث سنوات ...

أنور السادات

تقرير هام الى وزير التربية

على صبرى يتحدث

تحدث السيد على صبرى مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية عن أهم المسائل المصرية والعربية التى تعنى بها الرأى العام العربى

لجنة أردنية أمريكية لمساومة اللاجئين

على بطاقاتهم مقابل تشغيلهم فى وادى الأردن
أمريكا تتعهد بدفع جميع نفقات المشروع

تعديل قانون معاشات ١٩٢٩

مساهمة البنوك المصرية فى تمويل محصول القطن

معهد الأبحاث الأمريكى

أسطول تجارى سورى

قلق إسرائيل من غواصات مصر

السعودية تحتج على أمريكا
لاصرارها على دولية خليج العقبة

روسيا تطلب من مصر

متحدث أمريكى رسمى يعمل على روسيا لبيعها الغواصات لمصر

مشوهو الحرب

أمريكا تواصل تسليح فرنسا

وترفض التدخل الدولى فى مسألة الجزائر

ضرورة انسحاب إسرائيل من العوجة

الانجليز بالبرلمان يسافرون من مصر اليوم

إعلان
لحملة وثائق تأمين اللوبيز

ترجو وكالة التجارة والتأمينات ... بتقديم ... إلى شركة القاهرة للتأمين ... وذلك فى موعد أقصاه ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٧ ... على أن ترسل صورة من هذه الطلبات إلينا بالعنوان التالى :
٢ شارع البورصة القديمة بالاسكندرية

شركة القاهرة للتأمين

إعلان لحملة وثائق تأمين اللوبيز

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٩ يونيو ١٩٥٧

حواديت

العربي المسلم أقل قدرا عند الفرنسيين من انسان الاسكيمو وزنجي الصومال والكامبرون .

منذ أكثر من مائة عام خالطوا العربي مخالطة الناهب والسارق ولم يتكلفوا معرفة أصله وتاريخه وثقافته رغم وجود الكتب التي ألفها علماء فرنسا عن التمدن العربي الإسلامي

لا يصلون الى قول جوستاف لوبون : ان العرب ... امة عن وجه الارض ... العربي جهول كسول ... الاحمق المجنون .

عندما ساعدهم العرب بأرواحهم جعلوا لقتلة المحاربين منهم ثلاث مكافآت يختار المحارب احداها ، وهي :

رخصة بدكان دخاخني في الاحياء الوطنية

عسكري بوليس يحرس الحدائق ويقف عن الاسبوع

قاضي محكمة شرعية في القرى

المقامة البرلمانية

الفن الفني

ليلة في لوزان

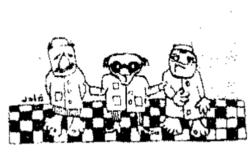
جامع باريس

كل أسبوع رواية

الدكتور بن غبريت

ليالي الطوفان





— في مسلسلات الحكومة .

الدكتور ... أنا مش عاوزكم تقربوا بعض ... عشرين المرض عطش !!

الصفحة السادسة من «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٩ يونيو ١٩٥٧

حواديت: قدور بن عبريت وحكايات أخرى

بقلم: بيرم التونسى

العربى المسلم أقل قدرا عند الفرنسيين من إنسان الإسكيمو وزنجى الصومال والكاميرون.

منذ أكثر من مائة عام خالطوا العربى مخالطة الناهب والسارق، ولم يتكلفوا معرفة أصله وتاريخه وثقافته رغم وجود الكتب التى ألفها علماء فرنسا عن التمدن العربى الإسلامى.



بيرم التونسى

ملحوظة مهمة

الصفحات من ١٢٩ إلى ١٦٠ ناقصة
نتيجة خطأ مطبعي

كان المغنى نجم الحفلة، لا العريس ولا العروسة، ولأجله ينصب الصيوان وتعلق الكلوبات والشربات، فإذا غنى إنطلق بنفس مرحة، وأحس ما يقوله وجاوبه السامع فى إحساسه.

غادرنا حفلة العرس فى الفجر، وسار المشايخ يترنحون بما علق فى أذهانهم من فقرات الأغنية:

- وكم صبرت.. ياما شربت.

وها نحن الآن فى حالة غريبة فى باريس، ومعنا متشرد من «حمايات» سوق المغاربة فى الإسكندرية. طرده أهله لأنه أدمن وهو فى سن الخامسة عشرة كل أنواع المخدرات، أسودها وأبيضها وأحمرها.. إسمه أحمد.. فى كل ليلة ينتظره العمال وفيهم فتى جزائرى يجيد العزف على الماندولين، ويحتضنها فى الغدو والرواح كما تحتضن الأم طفلها الرضيع، فإذا حضر أحمد قال الجزائرى

- هيا.. أنا عشيت

ويتريث أحمد ويتدلل إلى أن يرتوى من النبيذ وجرعات البانجو الذى يدمن عليه عمال المغاربة، ثم ينطلق فى الدور كإنطلاق ملحنه فى ليال الأعراس، بل يضفى عليه من روحه الحزينة ألوانا أخرى، كأنما يلحنه من جديد.

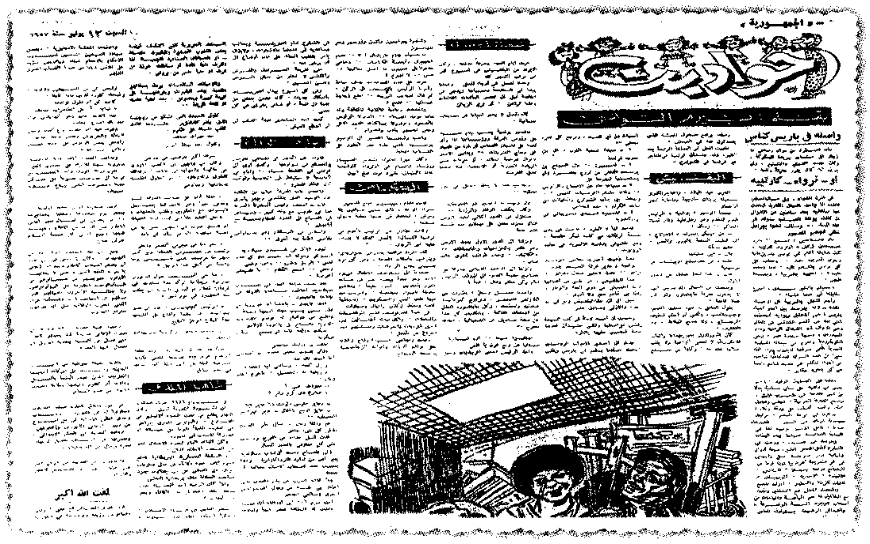
وكلما إنتهى أحمد من جملة وأراد الإنتقال إلى الأخرى صاح عازف المندولين وصاح معه الآخرون:

- لا.. عاود.. زيد.. أنا عشيت.

الفصل السادس

حواديت

وأصله فى باريس كناس



الجمهورية

حواديت

بقلم : بيرم التونسى

«تقديم»

يخصص بيرم التونسى هذا الفصل من الحواديت لذكرياته عن العمل فى باريس خلال فترة المنفى فيها.. وقد أرشده أحد أصدقائه إلى مدير فى أحد محلات باريس خدم كضابط فى تونس عشرين عاماً، وفقد إحدى ساقيه خلال خدمته.. وهو يحن إلى أيام إقامته فى تونس، ويعطف على كل تونسى يتقدم إليه.. ونصحه صديقه أن يحييه بلهجة تونسية.. وبالفعل استجاب الرجل وعينه فى هذا المتجر الكبير.. ويروى بيرم ذكرياته فى هذا المتجر.. والأعمال التى قام بها.. وطبائع العمال والعاملات.. وقد أثرت فيه جداً أول مرة يتقاضى بقشيشاً عن عمله.. وقال: «هذا البقشيش هز نفسى من أعماقها، كنت أحسبنى من ذوى العفة والوقار، وإذا بى خادم صغير ولا أدرى..!!».

ويروى بيرم التونسى كيف حاول أن يتوسل إلى «رئيس الدولة المصرية» عندما مر فى باريس مع وفد كبير فى طريقه إلى لندن لمفاوضة الانجليز.. كى يسمح له بالعودة إلى مصر.. فإذا بالرجل يبلغ البوليس عنه ويتسبب فى مشاكل عديدة له مع البوليس، وفى العمل.. وكان بيرم التونسى يقصد مصطفى النحاس باشا، وإن لم يذكر اسمه صراحة.. وإن ذكر عبارته الشهيرة بعد فشل مفاوضاته: «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز»، لنعرف أنه مصطفى النحاس باشا.

ويروى بيرم التونسى قصة حدثت خلال كفاح الشعب المصرى فى ثورة عام ١٩١٩.. عن استجابة اثنين من الأزهريين لإغراء المكافأة التى أعلن

عنها الإنجليز لمن يرشد عمَّن يقتل جنودهم في الشوارع.. وقبض الإثنان المكافأة.. فعمل أحدهم «كمسارياً» في الترام، ومات بعد أن أضاع المكافأة.. أما الثانى فقد غير جلده تماماً وعمل بالنقد الفنى.. وفي الحقيقة كان يعمل فى ابتزاز العاملين في الفن، وتأليف الأغانى وكتابة وإخراج الأفلام.. وكون ثروة من سرقة أعمالهم وطبع كتالوجاتهم وبيعها، ولكن بخله كان شديداً.. حتى أنه رفض أن يمشى في جنازة أخيه الفقير حتى لا يساهم في نفقاتها.. وعندما طالبه أبناء شقيقه المتوفى بالإنفاق عليهم، ورفعوا عليه قضية نفقة؛ رضى أن يقف أمام المحكمة ويقسم كذباً أنه فقير ولا يملك شيئاً.. «وما كاد يتم اليمين حتى سقط في ساحة المحكمة مضروباً بالشلل»..

«حواديت: وأصله في باريس كناس».. بقلم بيرم التونسى.. نشرتها «الجمهورية» في يوم السبت ١٣ يوليو ١٩٥٧، ونتابعها معاً على الصفحات التالية....

بيان هندى مصرى اليوم

تعيين ٤٤٠٠ مدرس فى المدارس الإبتدائية هذا العام

الجمهورية : شركة مساهمة مصرية – ٢٤ شارع جلال – تليفون ٧٥٥٠٠ (١٠ خطوط)
رئيس مجلس الإدارة : أنور السادات
رئيسا التحرير : أحمد قاسم جودة – كامل الشناوى
١٠ صفحات – ١٠ مليمات

الجمهورية

"AL GOMHOURIA" 13 JULY 1957
العدد ١٢٩٧ – السنة الرابعة – السبت ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٧٦ – ١٣ يولية سنة ١٩٥٧ – ٦ أبيب سنة ١٦٧٣

أسرار الحكم فى قصة الشريف

ارتفاع سعر الجنيه المصرى فى لبنان

نهرو يعلن : سياسة جمال عبد الناصر هى سياسة الهند

الأحلاف العسكرية تقضى على استقلال الشعوب

بيان مصرى هندى مشترك

علم المحرر السياسى للجمهورية – أنه سيصدر فى ساعة متأخرة من مساء اليوم بيان هندى مصرى مشترك عن مباحثات جمال – نهرو .

وقد طار الزعيم الهندى الى الخرطوم أمس ، ويعود منها الى القاهرة مساء اليوم ، حيث يحضر آخر جلسة للمباحثات ، وعلى اثر انتهاء هذه الجلسة يذاع البيان المشترك .

وقد أعرب شرى نهرو رئيس وزراء الهند ، أمس ، عن اعتقاده فى أن تعود العلاقات الطبيعية بين مصر وبريطانيا تدريجيا ، وقال انهما فى طريقها الى التحسن . ووصف مسألة العقبة بأنها ليست بالخطورة التى يتصورها البعض .

أعلن أن العلاقات الدولية فى تحسن وأن حدة التوتر الدولى تخف عما كانت عليه ، كما أعلن أن الهند تتبع دائما سياسة عدم الانحياز وانها لن تنضم الى أحلاف عسكرية مهما حدث فى العالم ، كما وصف الموقف فى الشرق الأوسط بأنه مائع .

بيان سورى عن عدوان اسرائيل

التضخم المالى يهدد بريطانيا

تعيين ٤٤٠٠ مدرس فى المدارس الابتدائية هذا العام



أمريكا تنتظر فى قلق خطاب عبد الناصر فى مجلس الأمة

تعقيب لمدير الاستعلامات

أذاعت الاسوشيتد برس أمس من واشنطون البرقية التالية :

يتوقع بعض المسئولين فى الولايات المتحدة أن يعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن اتخاذ خطوة جديدة ، قد تكون مثيرة فى الشرق الأوسط .. وذلك فى الخطاب الذى يلقيه على الشعب المصرى فى ٢٣ يوليو .

والمعروف ان الرئيس جمال عبد الناصر أعلن فى نفس هذا الوقت من العام الماضى تأميمه لشركة قناة السويس .

وتعتقد بعض السلطات أن عبد الناصر قد يطلب من القوات الدولية أن تغادر الأراضى المصرية أو يعلن سد خليج العقبة بالغواصات التى اشتراها من روسيا .

وزير خارجية لبنان يعلن : تحسن العلاقات بين مصر ولبنان

القومية العربية بقيادة عبد الناصر هى الخطر الذى يواجه أمريكا

الغواصات الروسية

حفيد أغاخان يخلفه فى زعامة الاسماعيليين

الجيش السورى مستعد لكل محاولة اسرائيلية

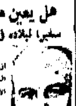
اضراب الصحفيين اللبنانيين يستمر ثلاثة أيام

بدأ الصحفيون اللبنانيون اضرابهم ... الحكومة اللبنانية على ... بالقبض على الصحفيين احتياطيا ... لثلاثة أيام .

وقد دعت الجمعية العمومية للصحفيين اللبنانيين الى عقد اجتماع أمس للبحث فى تطورات الموقف وفى موعد انهاء الاضراب .

بيروت – من وكالات الانباء

هل يعين مولوتوف سفيرا لبلاده فى الارجنتين ؟



٥٥ ألف طن بترول وصلت لميناء الاسكندرية

أسباب الحكم فى قضية التهريب الدولية

الأسس المقترحة .. لتسوية العلاقات بين مصر وانجلترا

آخر يوم للسد العالى من موظفى وعمال ادارة القناة

أول سفينة فرنسية تحمل بضائع مصرية

جولدا مايرز تقطع رحلتها فجأة بعد اعتداء اسرائيل على سوريا

تشاؤم أمريكا من حوادث الحدود بين العرب واسرائيل

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم السبت ١٣ يوليو ١٩٥٧

٦ - « الجمهورية » — السبت ١٣ يوليو سنة ١٩٥٧

حواديت

بقلم : بشير المنوفى

واصله فى باريس كتاس

أو - ترواه - كارتيه

الفاهمة اليابانية



الصفحة السادسة من «الجمهورية» فى يوم السبت ١٣ يوليو ١٩٥٧

حواديت وأصله في باريس كناس

بقلم: بيرم التونسي:

هذه شطرة من موال وصفني به زجال على صفحات جريدة «البعكوكة»، وكان يقصد التحقير والتشنيع، ولم يعرف أنه كان يقرر حقيقة واقعة.



بيرم التونسي

أو. تـرواه. كارتييه

فى فتـرة الغداء وفى مسبك الصلب أخذت أنا وأحد العمال المغاربة نتحدث عما سنلاقيه بعد ساعتين من الأهوال إذا كانت بوتقة الصلب ستـوقـد فى هذا المسـاء.. وسنقف أمـامـهـا بجـرادل نتلقى الجـحـيم المصهور.

قال صاحبى: إسمع.. مدير المستخدمين فى محل «أوترواه كارتييه» كـان ضـابطا أقـام فى تونس عشـرين عـامـا ويعـرف العـربيـة جيـداً.. ويعطف على كل تونسـى يتقدم إليه. فإذا دخلت عليه فحييه بالعربية، وبهذا النص:

«مسيكم بالخير سيدى».. أسرع بمقابلته فى هذا المساء.

وإسم المحل بالعربية «إلى الأحياء الثلاثة»، لأنه يتوسط بين أفخم أحياء باريس: حى المادلين ويواجه كنيستها التى تعد من أقدم الكنائس فى العـالم وحى الأتوال ذو الفنادق الرائعـة ودور السـفـارات، ومنهـا سفارة مصر، وحى الكونكورديا وتقوم فى ميدانه المسله المصرية التى سرقها نابليون جزاه الله خيرا عن هذه السرقة.. لقد أقامها شاهقة فى الهواء تتكلم عن مجد شامخ وتفتأ عين كل جحود مكابر.

دخلت على الضابط الوقور وكان يمشى فى مكتبه على ساق صناعية بدلا من التى فقدها فى الحرب الأولى، وسمع التحية العربية فجلس وتناول القلم وكتب كلمات على ورقة وقال: ستكون فى فرقة الخدم،

مرتبك سبعمائة فرنك فى الشهر، الغداء عندنا. قابل المسيو بوشيه غداً فى الساعة السادسة صباحا بهذه البطاقة.

وخرجت من عنده ووقفت فى الشارع أتأمل المتجر الكبير، سبعة أدوار وثمانية عشر فترينة على واجهتين، كل فترينة عرضوا فيها نوعا من البضائع عرضا جميلا، «الملابس، الأقمشة، الأحذية، الموبيليات، أدوات الزينة والعطور، أدوات المطبخ»..

وإقتحمت المحل مع الداخلين وطفت مع الطائفين، ها هم الباعة والبائعات من أصحاب الوجوه المبتسمة الوضيئة، والشمائل الرشيقة يستقبلون الناس بلباقة وأدب.

ورأيت زملائى من الخدم فى ملابس نظيفة يروحون ويغدون بالسلع المطلوبة لأقسام المعروضات أو بسلال الأوراق المتناثرة تحت أقدام البائعات.

فى الصباح سأكون واحدا من هؤلاء ولعنة الله على مسابك الحديد ومصانع البيرة وملاحات الأرل.

منشة ريش

سلمنى الخياط بدلتى بعد أن قاس طولى وعرضى وكان فى انتظارى رئيس الفرقة، وهو شاب قصير تتميز ملابسه بشريطين من القصب على أكمامه، ويدعى البريجادير.

فأعطانى رئيسى منشة من الريش الناعم وقال: إتبعنى..

وصعدنا فى المصعد إلى الدور الخامس حيث توجد مركبات الأطفال

الفخمة وأباجورات المصابيح، وما إلى ذلك من المصنوعات الدقيقة.

سحب البريجادير إحدى هذه المركبات ومر بالفرشة على مكانها فوق الأرض الباركيه ثم أعادها وقال: هكذا تفعل إلى آخر هذا الصف وهذا كل عملك اليوم وإلى اللقاء فى المطعم فى الدور السادس.

وبمثل هذه الأشغال الخفيفة الظريفة يستقبلون كل عامل جديد لينشرح صدره ولا تنفر نفسه، ثم يتدرجون به إلى الأصعب فالأصعب.

ولك أن تسمى هذا حكمة إدارية أو سياسة نفسانية يغفل عنها الكثيرون من أصحاب الأعمال.

فى هذا المتجر ١٢٠٠ موظف أكثرهم من الجنس اللطيف، وها نحن فى المطعم الذى لا تقل مساحته عن أى صالة سينما وأمامى صفوف من بنات فرنسا الكادحات، وكلهن من عاملات المخازن والخياطات والكناسات وملمعات الزجاج والنحاس.. وكلهن أليفات لطيفات.

فوقنا مطعم آخر للمديرين وكتاب الإدارة والبائعات الفاتنات..

طافت الطباخات علينا بشرائح ضخمة من البفتيك البقرى، القطعة منها تغطى الطبق. ونظرت جارتى إلى قطعتها بشىء من التقزز، ورفعتها بين الشوكة والسكين وقالت لى: تسمح؟ وقبل أن أجيب عليها وضعتها فى طبقى فوق أختها، ورأتنى أخرى فرحا، أبتسم، فوضعت قطعتها فوق الإثنتين، مجموع هذا لا يقل عن كيلو من اللحم الأحمر مع زجاجة من النبيذ، وزجاجة أخرى قدمها لى كهل من زملائى لأن الأطباء منعوه عن شرب النبيذ.

ومرت الطباخات بأطباق ضخمة من المكرونة مصنوعة باللبن

والبيض «لوى» ومنها يأخذ الآكل ما يشاء بلا تحديد..

ثم أطباق أخرى من الجزر الأصفر تليها أطباق من الجبن والفاكهة، وهكذا يرتفع مستوى المعيشة الذى يتحدثون عنه فى الصحف.

غادرت المحل فى الساعة الرابعة بعد الظهر وقد علمت أن فرنسا فى المتاجر غير فرنسا فى الشوارع.

البقشيش

اقترب عيد الميلاد، والمتاجر الكبرى تستقبله بزينات خارجية وداخلية تبهر الأبصار.

جمعنا الموسيو «بوشيه» الرئيس العام للخدم، وهو رجل عليه وقار قضاة المحاكم.. وسأل:

من فيكم يعرف «الامبالاج» أى تغليف السلعة بالورق والقش؟.. قلت: أنا

قال: أين تعلمتها

قلت: فى مصنع موبيليات فى مرسيليا

قال: غدا تبدأ عملك فى الدور الأول

ويعجبك فى العمال الفرنسيين أنهم لا يدعون معرفة ما يجهلون ولو كان عملا تافها.

يقول العامل: نعم حملت الفحم ولكن لم أتعلم تنظيف الزجاج ولا مسح البلاط، ولا التغليف.

كان الدور الأول يغص بهدايا وألعاب للأطفال لا تحصى أنواعها ولا

يقف جمالها عند حد، وكلها من صنع مهندسين حاذقين وفلاسفة مفكرين، يحاول كل منهم أن يفرح الطفل ويفيده.

وكانت أغانى ذلك الوقت تدوى فى أرجاء المحل، والبائعات مصغيات إليها فى نشوة وسرور وقد أخذن زينتهن كما ينبغى.

ووقفت أمام منضدة عليها لفافات الورق الأحمر من مقاسات مختلفة وبجانبى منضدة أخرى ووقف أمامها عامل أراه لأول مرة، ويظهر أنه من الريف.

وأقبلت بائعة شقراء على خدها خال أسود ووضعت على المائدة مهدا صغيرا تضع فيه الطفلة دميتها الصغيرة، وقالت ذات الخال:

غلف هذه لهذه السيدة.

ومضت وتركت الزبونة تنتظر المهد، عبارة عن قصعة بيضاوية مبطنة بحرير بنفسجى اللون. مزينة حافاته بالفيونكات الحمراء، معلق وسط هيكل من خشب «اللاكيه» المزين بالصور المضحكة وفى أعلاه بطاقة صغيرة مكتوب عليها الثمن ١٥٠ ف.

تناولت أشرطة الورق والدوبارة بنشاط وسرعة، وكانت نظراتى تنفلت منى إلى السيدة من غير قصد، وترجع كل نظرة بمعنى:

١- سيدة قمحية اللون. أى من جنوب أفرنسا.

٢- قصيرة.. قال الحجاج بن يوسف الثقفى من تزوج بقصيرة ولم يستحسنها فمهرها علّى.

٣-محياها عار عن الأصباغ والرتوش.. ولماذا نظلم الفرنسيات كلهن... ونخلط بين بنات الشوارع والعقيلات من بنات الكرام، هذه إحداهن.

٤- تشبه إحدى قريباتى.. فى الإسكندرية.

قدمت لها «الطرد» فدست فى يدى خمسة فرنكات مع كلمة شكر هامسة، وهو بقشيش يدفعه الأثرياء فى مطعم الروتوند.

فلما ذهبت أبصرت بجانبى الموسيو بوشيه مدير فرقة الخدم يقول برافو.. جئت لأختبر صدق دعواك..

هذا البقشيش، هز نفسى من أعماقها، كنت أحسبنى من ذوى العفة والوقار، وإذا بى خادم حقير ولا أدرى.

خيل إلى أن هذا البقشيش وقع فى يد العقادوالمازنى وصادق عنبر.

وصممت أن أضعه ثانية فى كف السيدة وأطبق على أناملها، ولكنى خشيت أن تعدها إهانة أحاسب عليها بالطرد.

حدث أن إحدى الأميرات الروسيات التحقت خادما بمطعم فى باريس وظلت عدة شهور تحمل الأطباق وترتب الموائد دون أن يشعر أحد بحقيقة أمرها.

وبصدفة منحوسة عرف المدير من خادمه فطردها فى الحال وقال: نريد خادمات لا أميرات.

بالنص

تواردت البائعات على مائدتى معهن الهدايا واللعب مع الزبائن، فأخذت فى العمل، بينما زميلى وجارى واقف مكتوف اليدين.

فلما فرغت قال بصوته الجبلى:

هوه.. إسمع.. البقشيش مناصفة لى.. ولك.

قلت حبا كرامة.. نتحاسب الآن أو آخر اليوم؟!.

فقال بعد تفكير.. فليكن آخر اليوم.

ولكن وفود الزبائن كانت تتكاثر كلما طال اليوم وإزدحمت مائدة زميلى بالعمل. فعاد يقول: إسمع.. ليحتفظ كل منا بما فى جيبه.

قلت: كفى الله المؤمنين القتال

شمبانيا ونساء

مرت أيام العيد بسرعة خاطفة، وكان الإيراد من البقشيش فى أسبوع أكثر من مرتب الشهر كله.

وعدنا للعمل فى أرجاء المحل. وعملنا يبدأ فى السادسة صباحا وينتهى فى الثامنة قبل أن تحضر البائعات الغاتنات وقلما تراهن.. أو ترى الزبائن.

كان العمل لا يخلو أحيانا من مضايقات نفسانية.

فالمسيو بوشيه يصب جام غضبه على رؤوس الغرقة ورؤسائها إذا رأى لطعة على قضبان النحاس أو ذرة من الغبار على زجاجات الفترينات.. وينتهى الأمر بانزال درجة فلان، أو حرمانه من الزيادة الدورية أو الإستغناء عنه عندما تحين الفرصة.

وبجانب هذا لا يخلو العمل من أمور مسلية.

قال رئيسنا القصير ذو الشريطين، وكان يتكلف الوقار والرزانة.. سننزل فى الدور الثانى تحت الأرض، هناك مخزن مقفل على مهملات

منذ خمسة عشر عاما.

ونزلنا إلى الدور الأول تحت الأرض وهو عـامـر بالمخـزنجـيـات والخياطات.. والكاتبات وهذه طوائف أخرى ذات شأن.

ونزلنا إلى الدور الثانى وسرنا على مصابيح خفيفة الضوء إلى أن وقف الرئيس أمام ركن مظلم وقال: هنا!

وأخذنا نحمل وننقل: إطارات من الكاوتش المتجمد ومراوح كهربائية صدئت وتحطمت، وكل ما يتصوره العقل من المخلفات التالفة، وإنكشف كل هذا عن ستة صناديق من الشمبانيا أحدها مفتوح.

فهتفوا جميعا.. أوه شمبانيا شمبانيا من ربع قرن.. يا إلهى.

وأخذ الرئيس إحدى الزجاجات وجعل يتأمل ماركتها ويجس غطاءها.. وإذا بالآخر يقدم له مطواة ذات بريمة ويقول: إفتح.. إفتح..

وما أسرع ما إستجاب الرئيس وفتح زجاجة وهو يخشى إنفجارها الشديد.. ودارت الزجاجة على أفواهنا بالعدل القسطاس وقد أوفيناها حقها من عبارات الإعجاب والثناء.

شمبانيا معتقة، لا توجد فى كل مكان ولا فى كل زمان، ولا عند كل إنسان.. حتى الملوك.

وقال صاحب المطواة.. إفتح الثانية نحن سبعة أشخاص.

فقال الرئيس بحزم: لا..يكفى هذا هيا إلى العمل..

وذهب أمامنا فى الممر المستطيل.. ثم رفع رأسه إلى كوة فى السقف يتساقط منها نور الدور الأعلى.

ثم إلتفت الينا وإصبعه على فمه.. هس..

على هذه الكوة قضبان متشابكة من الحديد، يظهر منها أجساد كل من يمر فوقها من ساكنات الدور الأعلى.. وأخذوا يتزاحمون رافعين رؤسهم وهم يتهامسون:

ـ هذه مدام مارتيال لا مدام انتبييرى رُئيسة الكناسات.. وها هى مدموازيل سيمون، ما أجمل ساقيها.. هس.. لا تصرخ!

مرت على هذه المشاهدات نصف ساعة، وأمرنا الرئيس بالإنسحاب إلى الركن.

ثم قال لصاحب البريمة.. إفتح زجاجة شمبانيا.. إفتح!

وإنفتحت زجاجة فالثانية فالثالثة وقد حان موعد الغداء.. فأمرنا الرئيس بالصعود ومررنا بساكنات الدور الأعلى ونحن نحييهن بأدب واحترام.

وذهب رئيسنا القصير إلى الموسيو بوشيه يقص عليه خبر العثور على الشمبانيا المعتقة.

وكان خبرا إهتز له المدير العام ورؤساء الأقسام فى أوترواه كارتييه كأنه اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون.

الكناس

كانت مدام انتبييرى تبلغ الستين. خمراء الوجه، ذات عينين ضيقتين بلا رموش، تحتفظ فى جيبها بعلبة نشوق ضخمة.

وكانت تطلبنى من الرئيس لأقوم فى فرقتها النسائية بالعمل الذى لا يقدر عليه غير الرجال.

كان أفراد فرقتها يتمازحن بحوار بذىء ويترامين بالنكات المقذعة وفى كل مرة يصيبنى بعض الرذاذ.

صعدنا إلى مستوصف الأطفال فى يوم الأحد وهو تحفة بيضاء تعبر عن عناية القوم بأطفالهم، أسرة نظيفة، وملاعب محاطة بأسوار منخفضة، وفترينات فيها علب اللبن والبسكويت، وصيدلية كاملة، وقطط وكلاب وأفيال وسيارات.

فى هذا المستوصف تضع الموظفات والعاملات والكناسات أطفالهن بين أيدى المربيات والممرضات ويتسلمنهم بعد الفراغ من العمل.

وقفت وبجانبى سيدة.. وكلانا يطلى نوافذ المكان وأبوابه الزجاجية بسفنجة السبداج.

قالت زميلتى لأخرى:

- زوجى نام بالأمس كما ينام الخنزير فأجابتها.

- بجانبك خنزير أحسن منه.

ويستمر الحديث على هذا النمط إلى أن تنهرهما الرئيسة.

الإيتالاجيست

معنى هذا الإسم «المنسق» أو المنضد وهو الذى يتولى عرض البضائع فى الفترينات بأوضاع تغرى بالشراء، وهو رجل فنان يتقاضى مرتبا لا يقل عن مائة جنيه فى الشهر، وعلى مهارته وإبداعه تتوقف حركة البيع.

ترى الفترينة متبرجة بما فيها من المنسوجات تبرج الأرض بأزهارها

والسماء بشفقها وكواكبها.

الموبيليات، يضع منها قطعة، أو قطعتين تدلان على بقية الطقم، فتبدو الفترينة وكأنها مخدع ينتظر عروسين.

لا كهؤلاء الذين يكدسونها فى متاجرهم كأنها عفش المسافرين أو المهاجرين.

والأحذية يوليها عناية فائقة، فيقف فى الشارع أمام الفترينة ويخاطب مساعديه فى داخلها بالإشارات، ولا يزال يأمر بتقليب الحذاء على عدة أوضاع إلى أن يرضى عنه.

حتى فترينة الجرادل والفرش والمكانس لا تخلو من جمال العرض وحسن التنسيق.

وفى كل أسبوع يبدل ا لفترينات بأشكال جديدة، كأنه ملحن ينتقل من نغمة إلى نغمة، أو شاعر يخوض فى كل معنى.

كنت أحد المساعدين لهذا الشاب إلى أن إنقطع العيش.

صاحب الدولة

عزفت عن السهر فى مقاهى باريس والتسكع فى شوارعها، وكنت آوى إلى غرفتى فى الثامنة مساء.. وأنام فى التاسعة لأستيقظ فى الخامسة وأركب أول قطار للمترو.

وإقتحم باب الغرفة شاب من الطلبة، لأنه الوحيد الذى كان يتفقدنى ويهتم بأمرى، قال ـ آسف رئيس الدولة المصرية هنا فى باريس مع وفد كبير وسيسافر فى الصباح إلى لندن للمفاوضة مع الإنجليز.

وإستمر فى الكلام وهو يناولنى ملابسى قطعة بعد اخرى..

تجده الآن فى فندق سيلانديد، أقسم لو رجوته أن يعيدك إلى مصر لفعل.. الرجل وطنى.. وأنت وطنى.. ومنفى.. إسمع الكلام.. ما تضيعش الفرصة.

بعد نصف ساعة كنت فى فندق سيلانديد أخاطب صاحب الدولة فى جناحة بالتليفون.

قلت بايجاز - ياباشا أنا هنا من عشر سنين بسبب مجلة إسمها «المسلة» وأطمع فى دولتكم أن توصو القنصلية المصرية بالسماح لى بالعودة لأولادى.

سكت دولته كأنه لم يسمع وطال سكوته.

فقلت - دولتك سامعنى

فقال بصوت محنق مغتاظ استنى أصمت أما أبعت لك حد..

ونزل الحد وسألنى إيه الحكاية فرويتها له بالتفصيل وأخرج القلم وقال:

- عنوانك فين؟

- شارع دى كرم رقم ٣

- وعايز فلوس دلوقت ولا عايز إيه؟

- عياز أرجع لأطفالى - عايز فيزة من القنصلية..

هم واقفا وقال - تعالى بكرة الصبح تلاقى كل شىء جاهز.

كدت أقبل حذاءه من الفرح، وخرجت أخبر كل معارفى بالخبر السار.

وفى الصباح ذهبت إلى فندق سيلانديد بغير إذن من إدارة التروكارتييه، وهذا يحتسب عند أصحاب الأعمال مخالفة أو جنحة..

وما كدت أقترب من باب الفندق حتى أحاط بى خمسة من رجال البوليس السرى وسألنى أحدهم.

أنت بيرم.. أين أوراقك الشخصية

قدمت له البطاقة فنظر فيها وأعادها.

وقال:

- لا تدخل هنا الآن وعليك بالحضور إلى دار المحافظة اليوم فى الثالثة بعد الظهر وهاك العنوان.

سلم ج - الدور الثانى - حجرة ٣٦.

وذهبت إلى إخوانى أقص عليهم النبأ المحزن وجعل الصديق الذى دفع بى إلى هذا المأزق.. يحوقل ويتعجب من لؤم البشر وخسة الباشاوات.

وفى هذه الآونة أقبل شاب من طلبة البعثات. وما استقر على كرسيه حتى قال:

- سمعتم جرى إيه فى باريس؟ واحد إسمه بيرم كان رايح يضرب فلان باشا بالرصاص عشان يفركش المفاوضات ولكن الله سلم وقبض عليه البوليس.

وضحك أحد المجالسين وقال:

- بيرم أهو.. قاعد

فخجل الطالب وأقسم أنه جاء الآن من السفارة المصرية ووجد

الباشا هائجا مائجا يتساءل.

ـ وهيه باريس مافيهاش بوليس: قبضوا على الولد ده ولا لسه. حانسافر ولا مش حانسافر؟

وسافر الباشا إلى لندن فى أمان ومعه أربعون من وكلاء الشعب للمفاوضة فى القضية المصرية.

فى اليوم الثانى قلت للرئيس الذى سألنى عن غيابى ـ أصبت بنوبة مغص حاد..

ومعنى المغص أننى جلست أمام المحقق فى دار المحافظة نحو أربع ساعات أملى عليه كل خطوة خطوتها فى فرنسا منذ عشر سنوات إلى ساعة التحقيق.

كان لى صديق من فرقة الخدم يؤنسنى حديثه وصدق لهجته.

ـ لست من أبناء باريس.. أنا فلاح مولود فى قرية بانبول.. كنت أرعى الأغنام وأنا طفل.. وكنت أمشى حافى القدمين فى الحر والبرد..

إسمع لا تغرنك أبهة البائعات الفاتنات فى محلنا، كلهن بلا إستثناء يحترفن صناعة الرصيف بعد فراغهن من صناعة البيع، أتدرى ما هى صناعة الرصيف؟ ثم لا تعبأ برجال باريس.. أدنياء يريدون منك أن تدعوهم على الطعام والشراب ثم تشكرهم على إجابة الدعوة.

قطع مرة حديثه الشيق وقال:

ـ يوجد عندك لغط فى الإدارة.. بوليس تحقيق.. فوضوى.. شيوعى.. صحفى.. فما هى الحقيقة؟!

قلت ـ سوف تعرفها..

وعرفتها بعد أيام حيث قادنى الرئيس القصير ذو الشريطين إلى مخازن الكناسة وقال:

ـ توماس فى أجازة وستحل محله إلى أن يعود بعد ١٥ يوما

ولكن توماس لم يعد أبدا

حديث المكنسة

كناستنا لم يكن إلا قصاصات ورق وقماش وقطع دوبارة وأشياء تعتبر عند البعض من أعز المتاع مثل جوارب السيدات الحريرية التى اكتشف فيها بعض الثقوب الصغيرة والخيوط المتصلة، أو المصاغات الصناعية الجميلة إذا إنفرط منها عقدة أو سقطت خرزة من قرط أو حبة ماس من بروش..

والزميلات الكناسات يردن بسلالهن المفعمة بهذه الخيرات ويفرغنها على كومة كبيرة وينصرفن بعد تحية عادية أو نكتة ظريفة..

تقول السيدة التى تشكو من زوجها الذى ينام كالخنزير ـ عندما كانت تقلب السلة على الكوم

ـ خد ميراث حماتك

وتقول بعد سلة أخرى

ـ صرت أكبر خردجى فى باريس.

وكان من واجبى أن أكبس الأوراق فى ماكينة وأحولها إلى بالات وكذلك الخرق والدوبارة ثم أتناول المكنسة فأحادثها وتحادثنى.

«ماذا كان على صاحب الدولة لو وعدنى خيرا وهو كاذب كما يعمل البشوات مع المنكوبين وطلاب الحاجات، وهل اعتقد حقا أنى كنت أريد اغتياله أم هو ضرب من التجنى يعلن به عن أهمية شخصه الكريم شأن كل تافه ؟!».

ثم أنا من مجرمى النثر والشعر، ولست من مجرمى الدماء، ولو كنت منهم ما عرضت نفسى للسجن يوما واحدا من أجل هذا الرجل.

ها هى الصحف تقول إن وزير خارجية بريطانيا تركه عدة ساعات فى غرفة الإنتظار ثم أرسل إليه من يطلب منه الحضور فى يوم آخر.

الرئيس الجليل❖ عاد إلى مصر بحاشيته الضخمة وأذاع على الشعب هذا البلاغ الموجز البليغ:

- خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز

هذا هو حديث المكنسة وقد قطعه المرحوم عزيز عندما كلفنى بكتابة مسرحية ليلة من ألف ليلة كما أشرت فى مرة سابقة.

شاهد الملك

فى عام ١٩١٩ حيث إندلعت نيران الثورة المصرية الأولى، وكان النهار يطلع على جثث الجنود الإنجليز فى الشوارع، والبوليس المصرى يتراخى فى تعقب الجناة خوفا على حياته أو مشاركة للشعب فى شعوره.

❖ يقصد مصطفى النحاس باشا

ولكن القائد العام لجنود الإحتلال نشر فى الصحف الإعلان التالى:

«السلطة العسكرية البريطانية تدفع عشرة آلاف جنيه مكافأة لمن يدلى بمعلومات تؤدى إلى القبض على من يغتالون جنود صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى».

«وإذا كان المرشد أحد الجناة يعتبر شاهد ملك ويحصل على المكافأة ويفر من العقاب».

سخر الناس من هذا الإعلان وجعلوا شاهد الملك الذين يسمعون به لأول مرة نكتة الموسم

ولكن عزت عبدالله خطاب ومعه مجاور آخر يدعى عبدالناصر السمالوطى تقدما للسلطات وقالا «عند جهينة الخبر اليقين»

لم يكونا من المشتركين فى قتل الإنجليز، ولكنهما كانا يصغيان لما يلقى فى الأزهر من الخطب ويعرفان إسم هذا وذاك، إذ كان الأزهر معقلا أمينا للمجاهدين الوطنين.

وإنعقدت المحكمة الإنجليزية وبفضل شهادة الشيخين المسلمين أصدرت الأحكام بالإعدام شنقا وبالسجن المؤبد على ثلاثين شابا من خيرة الشباب المصرى المثقف.

وخمدت الثورة ثلاثين عاما كاملا.

كانت كل أم تقول لولدها..

- شايف.. خلى المظاهرات تنفعك..

عبدالظاهر مات وهو كمسارى ترام بعد أن أضاع المكافأة

وعزت عبدالله خطاب نزع الجبة ولبس البدلة والطربوش، وعاش

بوجه جديد وأدخل بعض الرتوش على إسمه وعاش بإسم جديد وابتكر طريقا سهلاً للإثراء على حساب الغير

حول رزمة الورق ذات الخمسين قرشا إلى قصاصات مطبوعة على شكل مجلة ومجموعات أغانى تباع بثلاثة جنيهات.

كانت ضحيته الأولى مجلة الإذاعة.. ينتظر يوم صدورها وينقلها بحذافيرها.. ثم يحصل على كتالوجات أغانى الأفلام قبل أن تعرض الأفلام ويعيد طبعها ويبيع أغانى كل خمسة أفلام بقرش صاغ.

جمع من هذا الخطف ١٥٠ ألفا من الجنيهات، وكان لا ينسى فى كل عدد أن يشتم أصحاب الأفلام وشعراء الأغانى بإسم «النقد الفنى» حتى لا يطالبه الأولون بتعويضهم عن خسائرهم فى الكتالوجات المطبوعة على الروتوغرافور، ولا يطالبه الآخرون بأرزاقهم التى سبقهم إلى إلتهامها ـ وهكذا عرف الفتى الحرب الوقائية قبل أن يعرفها مجرمو الحروب.

رفعت عليه قضية أنا وثلاثة من شعراء الأغانى، فما كاد يتسلم الإنذار حتى فصل فى القضية بقلمه قبل أن يفصل فيها القضاء.

تعقبنا بحملة شعواء، من الشتائم البذيئة واشتد على شركات السينما والمخرجين الذين عهدوا إلينا بالعمل، وفازت أم كلثوم وفيلمها سلامة بنصيب الأسد من هذه الشتائم.

لم يطق زملائى الثلاثة هذه الحملات، فتنازلوا له عن القضية، وصمدت وحدى أتلقى الإساءة فى كل أسبوع من شعراء الأغانى المأجورين والمتطوعين.

ربحت القضية فى الابتدائى وخسرتها فىّ الاستئناف بفضل شهادة عشرة رجال من الصحفيين.

واستغرق نظر القضية من الزمن اثنى عشر عاما. ولازلت أنتظر النقض والإبرام.

لمقت الله أكبر

كان للثرى الخائن أخ فقير يتشاءم من رؤيته ويرصد فى وجهه الأبواب لإعتقاده أنه ينتظر موته ليرثه.. إذ لم يرزق بالذرية.

مات شقيقه فأبى أن يشيع جنازته حتى لا يتجشم المساهمة فى نفقة الجنازة.

رفع عليه أبناء شقيقه قضية نفقة، فوقف أمام المحكمة يقسم يمينا غموسا بالله العظيم أنه فقير ولا يملك شروى نقير، وما كاد يتم اليمين حتى سقط فى ساحة المحكمة مضروبا بشلل نصفى.

«بيرم التونسى»

● نشرت فى «الجمهورية» فى يوم السبت ١٣ يوليو ١٩٥٧

«خاتمة»

هكذا عشنا مع حياة قمة من القمم المصرية الخالدة.. شاعرنا الشعبى العظيم بيرم التونسى.. الذى عاش ثلث حياته مشردا منفيا بسبب كفاحه ونضاله من أجل وطنه مصر.. والذى سجل التاريخ له مقاومة باسلة للاحتلال البريطانى وللقصر الملكى وللسلطة الغاشمة، فعاش مطاردا من هؤلاء جميعا.. ولكنه عاش أيضا على ألسنة شعبه وفى قلوب أبنائه.. نموذجا فريدا للمقاومة التى لا تهدأ.. وللكفاح المتواصل.. والصمود الصلب.

وكما عاش بيرم فى قلوب أبناء وطنه.. فإن وطنه عاش فى قلبه.. ولم يتخل هو أبدا عنه.. حتى فى أشد أوقات المحنة.. فكانت بكائياته من أجل وطنه.. ومن أجل أبناء وطنه.. وقودا يشعل النار فى الطغاة والغاصبين والمتخاذلين.

رحم الله بيرم التونسى

ونلتقى بإذن الله

وعلى الله قصد السبيل

صلاح عطية

salahattia@hotmail.com

الفهـــرس

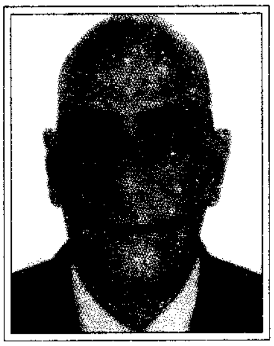
طبع بمطابع دار الجمهورية

هذه السلسلة تصدر تحت رعاية

الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي
ورعاية كريمة من الأساتذه



المحمدى حويدق
رئيس مجلس إدارة
الجفتون للمشروعات السياحية



أمجد حسون
رئيس مجلس إدارة
مجموعة فلاش تور



د. نور الدين بكر
رئيس مجلس إدارة
مصر للسياحة



عاطف عبد اللطيف
رئيس مجلس إدارة
مجموعة ترافلرز

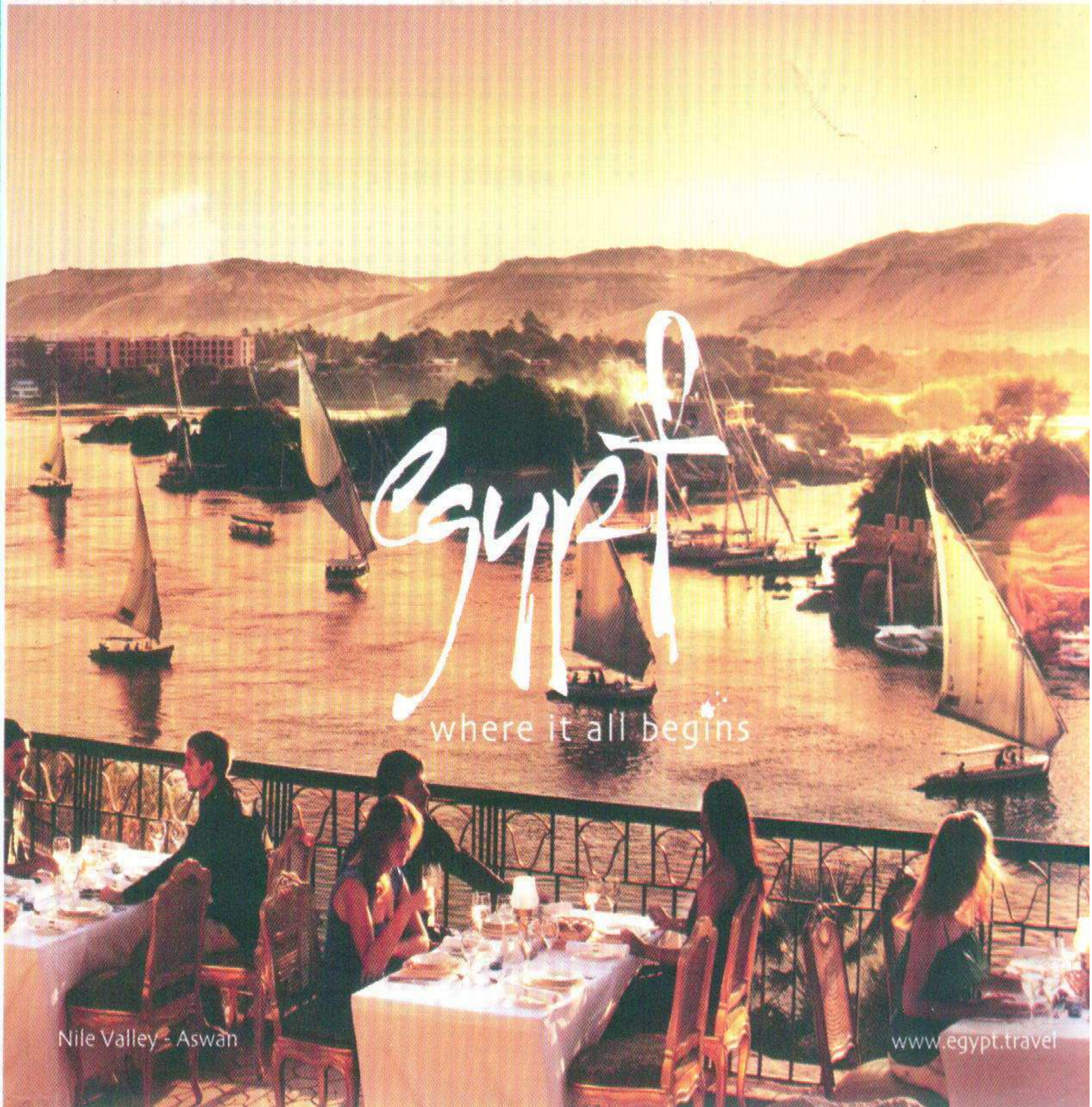


سامح حويدق
رئيس مجلس إدارة الياسمين بيتش
للمشروعات السياحية



محمد الحسنين
رئيس مجلس إدارة
جلاكسيا للسياحة


"the river fed my soul..."


egypt
where it all begins
Nile Valley - Aswan
www.egypt.travel

حصريات

مجلة الابتسامة

www.ibtesama.com